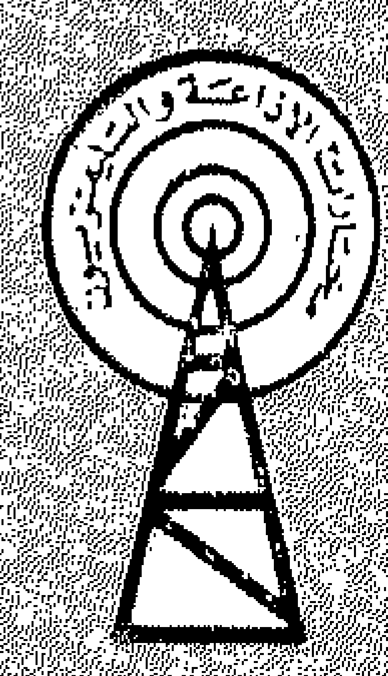
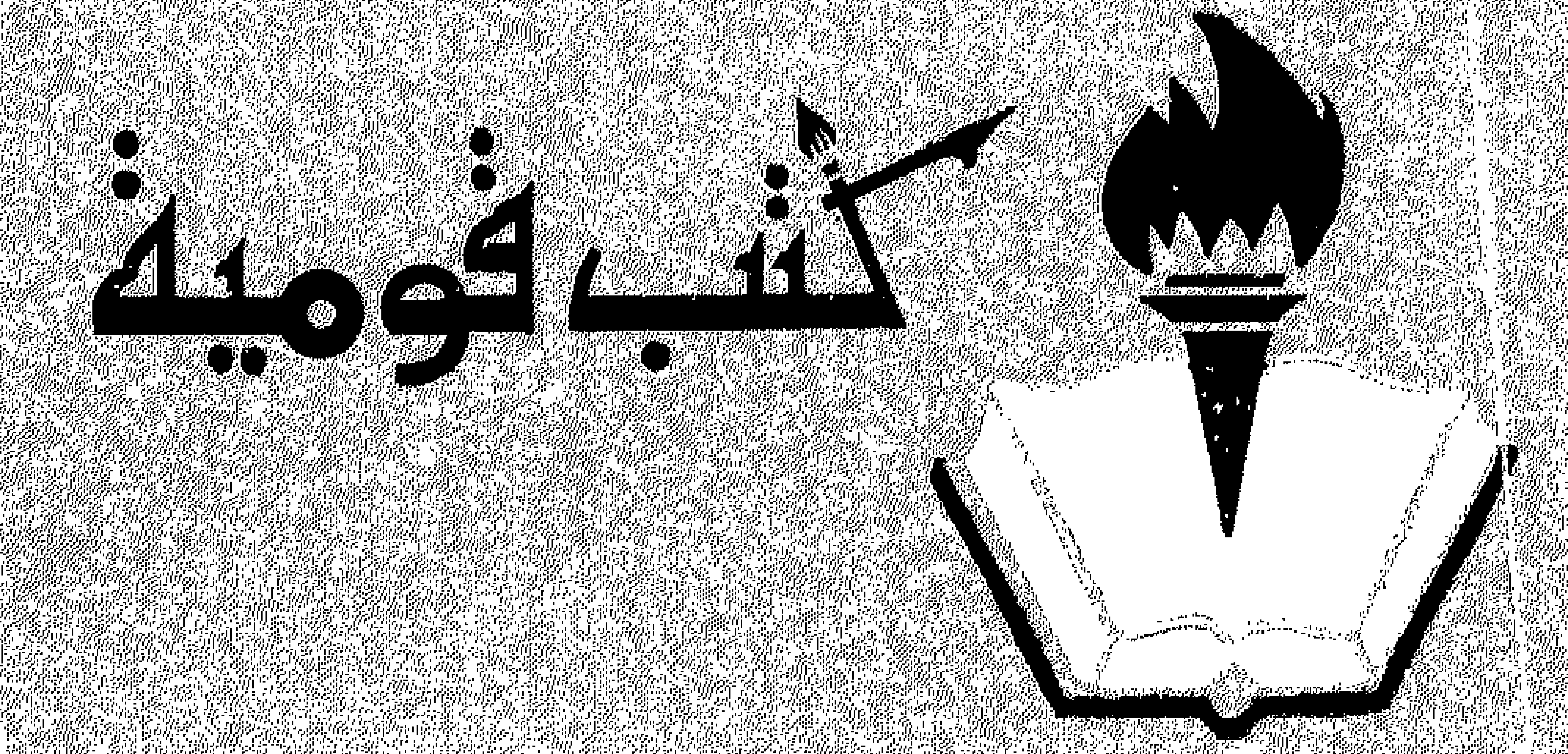
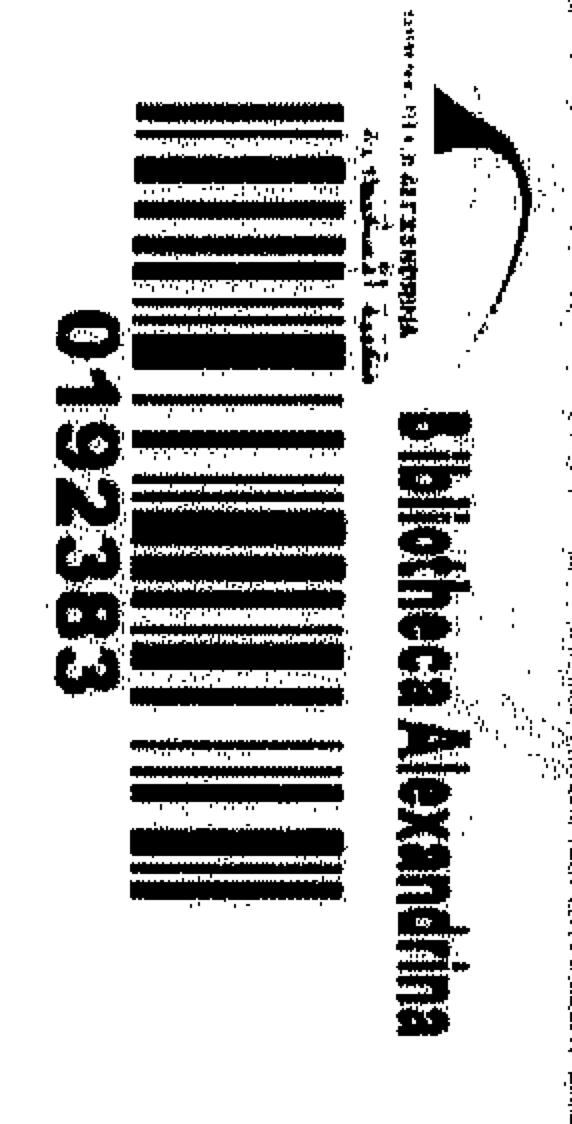




القوى المعنوية فى الميثاق

بقلم
ابرهيم بسيونى







كتب قومية

القوى المعنوية فى الميثاق

بقلم
ابراهيم بسيونى

مقـــدمة

الغرض من هذا الكتاب

ميثاقنا الوطنى تيار متدفق فى كل مجالات الحياة ، تمتد منه نهيرات تتشعب الى كل جانب من جوانبها .

وهو رصيد غنى يمد المتخصصين ــ فى الصناعة والزراعة والاقتصاد والطب وغيرها من وجوه النشــاط المادى ــ بمــا يعين على تشكيل النظريات ووضع برامج التطبيق .

ولقد حسب الميثاق حساب « الانسان » باعتباره قاســما مشتركا فى كل عمل ، وباعتبار الثورات الاجتماعية والسياسية والثقافية قد قامت من أجله ولرفاهيته ولتطوره .

من أجــل ذلك كله حــرص الميثــاق على تثبيت القيم المعنوية : الروحية والانسانية والخلقية ، لأنه رأى أن هــذه القيم هى التى تحــدد المســـئولية والالتزام الأدبى والرقابة الذاتية ، ويرى فى ذلك وســيلة للخــروج بالثورة من حيزها الضيق الى مجموع الشعب ، لكى يصبح الشعب حارسا لها ،

وحفيظا عليهـا ، ومؤتمنا على مكاسبها ضـد عاديات الزمن وانتكاسات التطور .

ان الميثاق اطار شامل لحيـاتنا ، بما فيها من أهداف ، وبما يحدد أسلوب العمل لتحقيق هذه الأهداف .

ولقد استبان من الميثاق أن أيديولوجيتنـا ليست مادية موغلة ، انما هى ذات أسس معنوية ، ذات مثل عليا ، ذات قيم أدبية .

ولقد تتبعت هذه الجوانب ، فاذا هى مستمدة من ماضينا كأمة لهـا تراث عريق ، ومن حاضرنا كأمة ذات فكر مفتـوح خلاق ، ومن مستقبلنا كأمة تتطلع الى التطور بلا عقـد وبلا تعصب ...

« ابراهيم بسيونى »

طبيعة العصر... ودور شعبنا فيه

لاجدال فى أن عصرنا هو عصر «المجد العلمى» — ويمكن أن يزهو العلماء بأن فى قدرتهم أن يهيئوا أسباب الراحة والترف لانسان العصر وأن يوفروا وقته وجهده وأن يسبغوا عليه الصحة والعافية ، بل أن فى مقدرتهم أن يسخروا ظواهر الطبيعة لمصلحته ومنفعته ، ففى استطاعة العلم اليوم أن يذيب الجليد فى أقاصى القطب ، وأن يسقط الغيث فوق رمال الصحراء ، وأن يستخرج من ماء المحيط الأجاج ماء عذبا فراتا ، وأن يحيل مناطق الجفاف والبوار الى منابع للخير والعمران بما يستكشفه فى باطنها من زيت ومعادن .

بل يمكن أن نذهب فى اعترافنا بأمجاد العلوم الى أن نشيد بعظمتها الخارقة فى كشف مجاهل الكون واختراق القشرة ، التى كانت تحدد سلطان الانسان ، الى آماد بعيدة فى الفضاء الرحيب ، ومحاولة الوصول الى الافلاك والابراج العليا وكشف طبيعة الحياة والاحياء فيها ، بل أمكن لرواد الفضاء أن يشهدوا فى لحظات خاطفة تعاقب الليل والنهار ، وأن يعبروا يابس الأرض وماءها بأسرع مما كان يحلم به خيال الشعراء وأرباب الفنون .

ولكن ...

أيحق لنا ، ونحن نسلم بهذه الانتصارات العظيمة التى وصل اليها مجد العلوم ، أن نتساءل فى هدوء وبلا تسرع ... هل انسان هذا العصر سعيد ؟

هل حقق لبنى جنسه سعادة ما ؟ هل هذا الانسان الذى حقق كل هذه الأمجاد قد حقق السلام بينه وبين ذاته ؟ ثم هل حقق سلاما بينه وبين اخوته من البشر ؟ هل هو ذائق لحقائق مافى الكون من جمال ومحبة وخير ؟

ان هذا الانسان لا يمسى أو يصبح الا وقد أجهد الجسم ، والعقل جريا وراء سلاح جديد أشد هولا وأعظم فتكا مما توصل اليه أخوه .

الانسان ــ حقا وصدقا ــ قوى العضل ، سريع الخطو ، واسع الأفق ، نفاذ البصر ... لكنه ــ مع الأسف ــ مفكك النفس موصول الجزع ، غير جدير بأن يحمل أمانة السلام فى الأرض ، أو أن يمهد لسبل الرخاء .

لقد دفعته حياته هذه الى أن يخوض حربا بعد حرب ، كأنما يجد فى الحروب دفعا لسأمه وعلاجا لمشكلته ، ووسيلة لطمأنينته .

وأى شاب فى مثل أعمارنا لو توقف ليتمهل ويستعرض حاله لألفى عجبا ... لقد ولدنا ابان الحرب العالمية الأولى أو

فى أعقابها ، ثم عشنا تجربة الحـرب الثانية واكتـوينا بنارها ولفحنا لظاها ، ثم هانحن أولاء الآن نتوقع يوما بعد يوم ، بل ساعة اثر ساعة ، اندلاع الحرب العالمية الثالثة ، التى لن تبقى ولن تذر ، ولن تعرف مهزوما أو منصورا ، لأن من يحيـا على ظهر هذا الكوكب بعدها سيحيا وقد لوثت الاشـعاعات دمه ، وشوهت خلقته ــ وهدت حيويته •

هذه الحروب التى تتالت وتتابعت ، لقـد آزهقت روح الشيخ والشاب والمرأة والطفـل ، وسـممت منابع الجمال ، وخلفت فوق قباب المساجد والكنائس دخانها الأسود ، وأرسبت فوق المتاحف وآيات الفنون التى تركها الأجداد ركامها المقيت الداكن ، وهدمت المدرسة والمصنع والدار ، وحصدت المزرعة وأكلت اليابس والأخضر •

والانســان ــ فى عصر المجـد العلمى ! ! حائر متعثر ، يستعيد هذه الصور القاتمة ويحتضن أطفاله فى جـزع ••• ثم يمضى ••• يمضى لينكب يوما جـديدا على المـادة ، يمعن فى الوصـول الى سر أسرارها ، ويسـتغرق فى تحطيمها الى أدق مكوناتها ، آملا فى أن تقبض يداه على آلة جديدة للتـدمير ، أشد ضراوة مما عرف أخوه فى الطرف المقـابل للارض ، كأنه بذلك يزداد أمنا واستقرارا •

وهكذا •••• وحتى يحين موعـد الحرب القادمة التى يترقبها انسان العصر يحيا هذا الانسان فى حرب نفسية أشـد

قسوة من الحـــرب الساخنة ، لأنهـــا توهن العصب فى بطء ، وتؤرق الجفن آناء الليل وأطراف النهار ، وتوتر الحياة ، وبدلا من أن تهدى النـــاس الى الخبز والزبد ، تدفعهم الى حشـــد مايستطيعون من جهود مادية وفكرية والى التسلح بسلاح جديد لم يسبق له نظير ... حتى أن طائرة واحدة تستطيع أن تحمل الآن طاقة مدمرة تعادل مجموع ماألقى فى الحـــرب الأخيرة من طاقات الدمار .

وهكذا ـ أيضا ـ صار مايفصل بين الانســـان وأخيـــه أشبه بجو صناعى التنفس فيه غير طبيعى والهدوء مصـــطنع ، وأفكار السلام تولد ميتـــة ، وفكرة الذرة فى خدمة الســـلام توأد وهى فى المهد ، وفكرة تحرر الشعوب المغلوبة ماتلبث أن تعلو حتى تخفت أنفاسها ، ومؤتمر الأقطاب لايكاد يجتمع حتى ينفض وهكذا صارت كل نداءات الخير مغطاة بقفاز من حرير ، ما ان ينخلع حتى يبدو شىء أسود فاحم رهيب .

لقد أخفقت كل الجهود فى اذابة طبقات الجليد التى تغطى بها الحرب الباردة كل بقعة من بقاع الارض .

وأخفقت كل الآمال فى تحويل الانتصـــارات العلمية الى مايحقق رفاهية الانسان .

فهل يمكن وسط هذا الجو الصناعى أن تحيا القيم الثابتة ، وأن ينتشر عبير الحب والعدل والرخاء ؟

أكبر الظن .... لا .

لأن الأرض الفاصلة بين الانسان وأخيه تطوى من تحت ترابها يوما بعد يوم نارا جديدة ، والبحر الذى يقفان على طرفيه يبتلع جوفه كل ساعة آلة جديدة للدمار تترقب اشارة الانقضاض .

الحق أقول ... ان انسان المجد العلمى غير خليق بحفظ تراث البشرية فضلا عن ترقيته .

ولقد صدق الرئيس جمال عبد الناصر حين قال فى عيد العلم الخامس :

«ان العالم قد مضى بعيدا فى مجالات القوة وزيادة الانتاج فى حين تقاعد فى المجال الروحى والمعنوى عن المضى الى نفس البعد ، وان أبرز سمات الأزمة فى عالمنا اليوم أن طاقاته المادية غلبت طاقاته الروحية وأصبحت عضلاته أقوى من عقله » .

ذلكم هو التشخيص الصحيح لأزمة عالم اليوم .

ثم استمع الى الرئيس مرة أخرى وهو يقول فى مناسبة مماثلة :

« اذا كان من بشائر التطورات الأخيرة فى الميدان الدولى أن ثمة وعيا كبيرا اليوم للأخطار التى تتعرض لها البشرية كلها اذا ما استعملت هذه القوى الهائلة الجديدة بطيش ورعونة

وبدون ضابط من القيم الروحية والمعنوية ، فان علينا أن نعى عظة هذا التطور وأن نستفيد منه داخل مجتمعنا ، ذلك أن قوة التقدم العلمى والقوة الناشئة من زيادة الانتاج يمكن أن تصبح مصدر خطر مالم تستطع القيم الروحية والمعنوية أن تساير خطاها بل تسبقها لتمهد لها . »

والعلم فى المعامل ضرورة والعلم فى المصانع ضرورة ولكن العلم فى قلوب الناس وضمائرهم من ألزم الضرورات » .

ان صوت الرئيس وهو ينبه الى خطورة الحال أشبه بصوت الضمير الانسانى العام الذى يفزعه أن تتبدد أحلام الناس وآمالهم فى الحق والخير والسلام نتيجة لأطماع حفنة من القادة العسكريين وتجار الأسلحة الذين لا هم لهم الا تسخير العقل الانسانى الجبار — الذى هو قبس من فيض الله — فى الفتك والتدمير والخراب .

تلك هى الأزمة .....

فما دور شعبنا بين تياراتها .... ؟

ان شعبنا كما يقول الميثاق :

« يعتقد فى رسالة الأديان ، ويعيش فى المنطقة التى هبطت عليها رسالات السماء ، ويناضل من أجل المبادىء السامية » .

ولقد حملتنا هذه الرسالات أمانة الوسيط ، وساعدنا

موقعنا المتوسط بين قارات العالم ، وبين مناخاته ونباتاته وبحاره فى كل من المنطقة الحارة والمنطقة الباردة ، على أن نحمل هذه الامانة عبر العصور .

فمساحة الوطن العربى ١١٫٥ مليون كيلومتر مربع يقع ٢٨٪ منها فى آسيا و ٧٢٪ منها فى افريقيا ــ ويصل تعداد سكانه الى نحو ٨٢ مليونا من البشر ، يعيش ثلثهم فى آسيا ويعيش ثلثا هذا العدد فى أفريقيا ، وقد اضطلع هذا الشعب بأدوار نضالية وفكرية وانسانية فى العصر القديم والعصر الحديث ، منذ كانت على جانبى النيل حضارة ومنذ حملت الهجرات الاسلامية أفكارا ، ومنذ نشرت القبائل العربية نظما ، الى شمال افريقيا وغربها وشرقها حتى وصلوا الى مناطق البحيرات وسط القارة ، ومنذ امتدت قوافل التجارة الاسلامية الى الهند واندونيسيا فانتشر معها الاسلام بلا حملة بحرية عسكرية واحدة ! ! وليست حركات الانتفاضات منذ الحرب العالمية الاولى فى هذا الوطن الا تكملة للحركات السياسية والاصلاحية والدينية التى تنادى بالتحرر وترفض الخنوع والتبعية .

فدور العرب فى معركة التحرر الافريقى الآسيوى انما نشأ عن أسباب مادية هى الموقع والمناخ والاتصال التجارى والتزاوج ، وكذلك نشأ عن أسباب معنوية هى المشاركة الوجدانية والمصير الواحد .

والعربى قد شارك بطريق مباشر وغير مباشر فى مقاومة الاستعمار منذ هبطت أقدامه لأول مرة فى عصر الكشوف الجغرافية ، ثم تتالت من بعد ذلك الاساطيل الغازية ، ثم تحولت القارتان العتيدتان الى مصادر للطعام والمواد الأولية اللازمة لحياة الرجل الأبيض والآلات الصناعية المسخرة لرفاهيته ، ثم تحولتا أخيرا الى سوق لتصريف منتجاته ، وكتب عليهما فى سبيل ذلك التخلف والفقر والجهل والذلة والمسكنة .

شارك العربى فى ذلك كله واحتمل مع شعوب القارتين بمقدار مايطيق ، فلقد كان القطن المصرى أعظم الخامات أهمية لدى مصانع يوركشير ولانكشير وكانت قناة السويس شريان الحياة لدول أوربا ، وكلنا يذكر كيف استحالت الآلات والمصانع هناك عند اغلاقها عام ١٩٥٦ الى كتل من الحديد الهامد .

وكره العربى الاستعمار ربيب الرأسمالية وابنها الشرعى، كرهه فى صورة الجيوش المحتلة ، وفى صورة حركات التبشير، وفى صورة الوجوه المقنعة للأذناب والعملاء ... وتطلع مع شعوب العالم المضطهدة الى أن يمسح آثار أقدامه السوداء من فوق كل شبر على ظهر الأرض ، وأشعل نار الحقد عليه باعتباره أقذر جريمة فى حق الانسان !

والعربى يؤمن بالانسان ... باعتباره أكرم مخلوقات الله .

وإيمان العربى بالانسان ينبنى على أساس قويم ، يؤمن به كروح من فيض الله • وجسد يستحق التكريم لأنه وعاء لهذه الروح ••••

وكل نظر للانسان بغير هذه الثنائية زيف وباطل ، بل ان أزمة عالم اليوم — كما أوضحتها فى صدر هذا الفصل — انما ترجع الى انكار هذه الثنائية •

ولو قد أتيح للانسان أن يرتاد هذه المنطقة المجهولة فى كيانه بنفس الحماسة والقوة اللتين يرتاد بهما آفاق الكون المجهولة ، ولو ضاعف طاقاته المعنوية بنفس القدر الذى يضاعف به الأرقام فى معادلات الوقود ، لوصل الى أعظم النتائج وأخطرها ••• انه ساعتئذ سيدرك أن النظرة المادية المسرفة للانسان وللتاريخ وللحياة قد كلفته ثمنا غاليا ••• لأنها حرمته الأمن والقرار ، والسعادة والصحة النفسية والأمل فى الغد وكرامة الفرد •

ان شعبنا قد قام فى الماضى بدوره كجهاز استقبال لرسالات السماء وهو اليوم مطالب بأن يقوم بدوره كجهاز ارسال لاشعاعات الروح ، وسيأتى اليوم الذى يقر فيه الانسان باحتياجات الروح مثلما يقر باحتياجات الجسد وان الاضطراب فى الوفاء باحتياج كل منهما يحدث فى حياته الاضطراب والتلف مثلما يحدث أدنى خلل بين عمليات الهدم والبناء فى بروتوبلازم الخلية الحية •

وليس معنى نداءاتنا باحترام المطالب الروحية أننا نريد للانسان أن يفر من الدنيا الى الفيافى والقفار ليتزهد ويترهب ... انما نريده أن يتوسط وأن يعتدل ، فلا ينكب على المادية والغريزة ، ولا يسرف فى السلبية والتقاعس عن مواكب الحياة.

ذلكم هو السر فى قوة الشخصية العربية ، اننا « أمة وسط » .

ولقد منحتنا هذه القوة ايمانا اهتزت أمامه أعتى الجيوش ... ان التاريخ يحدثنا كيف اتسع المد المغولى فى أصقاع الأرض ولكنه لم ينحسر الا عند أرض العرب ، والتاريخ يحدثنا كيف صدت جيوش الصليبيين عن عتبات القدس الطاهرة ، ويحدثنا كيف انهزمت جحافل بريطانيا وفرنسا واسرائيل عام ١٩٥٦ أمام شموخ شعبنا ونضاله الباسل ... ولا يمكن أن تكون القوة المادية وحدها هى التى كفلت النصر ، ذلك لأن العدو فى كل حالة من هذه الحالات كان أكثر عددا وعدة منا .. ولكن العامل الأساسى فى ذلك النصر كان مبعثه دائما أننا أهل مبادىء ، أهل حق ، وكان عدونا على العكس من ذلك ، مصاصا للدماء حقودا ، مغتصبا، ولا أعتقد أن أحدا ينسى كيف تجمع الشرفاء فى كل مكان لنصرتنا، وكيف ارتفعت ــ حتى من بين بلاد أعدائنا ــ أصوات

تنادى بمؤازرتنا وبنصرتنا وبحقنا ، واذا الوضع ينعكس — على حد تعبير الميثاق — فيصبح عدونا وحده فى المعركة •

السر الكامن فى الشخصية العربية أنها تنتصر لكل القيم الانسانية والخلقية والروحية ، لا من أجل ذاتها أو على أرضها فحسب ، بل فى كل مكان من العالم أيضا ، بلا تفرقة فى الجنس أو اللون أو العقيدة •

دعوتنا دعوة للانسان ، الانسان بعد أن يخلع عنه تاج الزهو ، بمجده المادى ، ويصبح هذا المخلوق البسيط الظامىء الى السعادة ، المتلهف على الحياة الباسمة الهادئة بين أسرته وفى حديقة داره يلاعب أبناءه الصغار ، ويتطلع معهم الى غد مشرق جميل ، لقد تصالح مع نفسه ، وأشاع السلام فى حناياه ••• وعندئذ يود لو يحقق السلام بينه وبين المحيطين به بلا أنانية أو مكر أو خداع ••

ولا تحسبن هذا التصور لحياة الانسان البسيط السعيد ضربا من المستحيل الا فى بيئة انطمست فيها المثل وعميت فيها القلوب وأجدبت فيها الأرواح .

* * *

من أجل ذلك كله جاء الميثاق ، وكل سطر فيه يحفل بهذه النزعة — نزعة تغليب المثل العليا وتفوق المعانى الخالدة ، وكان طريقه فى ذلك عجبا فهو لم يعل فى هذا الاتجاه الى حال

يرضى الحالمين ، ولم يهبط باحترام الماديات الى حال يتملق بها الغرائز ويرضى بها الماديين ••••• بل كان ينبـوعا صافيا من فطرة هذه الأمة ••• وسطا واعتدالا •

وحق القول بعد ذلك أن تصبح ثورتنا العـربية دعـوة انسانية تخطط للمعنويات بنفس الكفاية والقـدرة والاهتمـام والحماس التى تخطط بها للجوانب المادية فى الحياة •

وحق القول بعد ذلك أن الميثاق ـ وهو محصلة تجارب شعبنا عبر الآلام والآمال فى مسير التاريخ الطويل ـ هو رسالة الى كل عربى ليمسح عن جبينه وصـمة التخاذل والضـعف والاستسلام ، والجمود والجهل ••• ليصبح بين تيارات هـذا العالم المضطرب داعية خير ورسول سلام •

القيم الروحية فى الميثاق

نقصد بالقيم الروحية تلك المعانى المطلقة الثابتة التى أتت بها الأديان وهى للروح غذاء وشفاء ، وكما يحتاج البدن الى عناصر معينة كالفسفور والكلسيوم والحديد ونحوها لكى يكتمل نموه — وكما أن نقص واحد من هذه العناصر تنشأ عنه أعراض خاصة قد يتبعها السقم ثم الموت ، فكذلك الحال بالنسبة للغذاء الروحى ، ولهذا فان المعانى الروحية ليست ثانوية القيمة اذا ما اصطلحنا على التفسير الثنائى فى فهم التكوين الصحيح للانسان .. ان الغذاء الروحى مدد الهى تتطلع اليه وجدانات الناس فى لحظات الضيق كى يفرج الله الشدائد ، وفى لحظات النعمة شكرا لمن أنعم .

وليس هذا فقط ، فان للقيم الروحية جانبها العملى السلوكى ، الذى يصفى النفس من أدران الحقد والكراهية ، وينعش فيها التيقظ والمحاسبة .. فاذا ما صفيت النفس من شوائبها ، واستقبل الفرد المجتمع ، تأسست بينهما علاقات نظيفة ، لا أثر فيها للانانية أو البغض أو الانتهازية ونحوها من الأغراض والأمراض .

ذلك هو التدين السليم ، انه عقيدة منظمة لحياة الفرد والجماعة ، وكل خطأ يرتكب فى حق الدين انما ينشأ عن محاولة حبسه فى حدود الفرد وتقلصه داخل هذه الدائرة الضيقة بدعوى أنه مسألة شخصية .... وتلك وسيلة تصطنعها الأفكار الهدامة لقتل الدين وحصر نفوذه وتبديد قواه .

ولهذا فان العلاقة بين الانسان وأخيه فى مثل تلك الأجواء لا تتعدى فى قوتها الواشجة القائمة بين شياه القطيع الواحد !!

وباستقراء الميثاق يمكن أن نجد التدين أهم الحوافز النبيلة لخدمة المجتمع واطراد تقدمه :

« اذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة، فان الحوافز الروحية والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد » .

وباستقراء الميثاق كذلك ، يمكن أن نجمل الحديث فى القيم الروحية فى النقاط التالية :

١ ـ الايمان بالله ضرورة للفرد والجماعة .

٢ ـ الاعتزاز بالتراث الروحى .

٣ ـ فهمنا لحقيقة الدين وجوهره .

٤ ـ اشتراكيتنا مؤمنة .

١ ـ الايمان بالله

ويصفه الميثاق :

« بأنه ايمان لا يتزعزع بالله وبرسله ورسالاته القدسية التى بعثها بالحق والهدى الى الانسانية فى كل زمان ومكان» •

« ان الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من أديانها السماوية أو من تراثها الحضارى قادرة على صنع المعجزات » •

« ان الطاقات الروحية للشعوب تستطيع أن تمنح آمالها الكبرى أعظم القوى الدافعة ، كما أنها تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بها جميع الاحتمالات وتقهر بها مختلف المصاعب والعقبات » •

« ان شعبنا يملك من ايمانه بالله وايمانه بنفسه ما يمكنه من فرض ارادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أمانيه » •

وقبل أن نمضى فى تحليل فكرة الايمان بالله فى ضوء الميثاق نلفت النظر الى نوعين من التفكير يسودان عالم اليوم •

أحدهما : التفكير المادى وله اتجاهان :

أ ـ الاتجاه الميكانيكى •

وهو لا يرى وجودا للروح أو العقل ، وبالتالى لا ينسب لأى منهما تدبير الجسم •

ب ــ الاتجاه الديالكتيكى •

وهو المذهب المادى الماركسى •

ويرى وجود العقل والروح ولكن وجودهما بعـد وجود المادة وتابع لوجودها •

ومعنى ذلك أنه اذا فنيت المادة فلا بقاء للروح أوالعقل •• والله لأنه خال من المادة ، فلا وجود له •

والثانى : التفكير الروحى :

وهو يرى وجودا للروح ولكنه سابق على المـادة وليس متوقفا عليها ، ولذلك يقول بالله كعلة للكون •••• وهـذا الاتجاه يقابل الاتجاه الاول بقسميه •

واذا ــ فبادىء ذى بدء ــ قد حـدد الميثاق اتجاهنـا الفكرى وسط اتجاهات العصر ، وان أساسه الايمـان الثابت بالله وبكتبه ورسله ثم يرى الميثاق ايماننـا بلا تعصب ، لأنه « لا اكراه فى الدين » ولأن جوهر الأديان واحـد هـو الحق والهدى والخير للانسانية جميعا ، وان تشويه هـذا الايمـان باسم التعصب الدينى يبعد الدين عن هذا الجوهر الصافى النقى ، ونحن قد ورثنا سماحة التدين عن أسلافنا ، فقد وقف المسيحى بجوار المسلم على أرض العراق ليحاربا معا النفـوذ الفارسى ، ووقف المسيحى بجوار المسلم كتفا الى كتف ليصـدا معا أول

موجات الاستعمار الأوروبى التى « جاءت مستترة وراء صليب المسيح وهى أبعد ما تكون عن دعوة هذا المعلم العظيم » .

ان المسيح لم يكن ذات يوم الا داعية وئام ورسول محبة وبشير سلام ، وقد استغل الاستعماريون اسمه ليخفوا حقيقة مغامراتهم ، وقد لاحظ فريدمان : « ان اسبانيا كانت تخفى أطماعها الاستعمارية أيام مجدها السياسى تحت ستار الكثلكة التى كان يتزعمها جماعة اليسوعيين المكافحين بنظامهم الحديدى وان فرنسا قامت بكل فتوحاتها باسم المدنية ، وأما الامبراطورية البريطانية فقد قامت على الجمع بين التجارة والحروب البحرية والاستعمار ، ولم تؤيدها القوة فحسب بل أيضا الجمع بين الحماسة الدينية والرغبة الملحة فى التجارة اللتين جعلتا فى نظر (البيورتان) الانجليز ، الاستعمار ، واستغلال البلاد الاجنبية رسالة ، ومصدر ربح كذلك » .

بل ، ان الصهيونية تحاول الاستتار تحت الدين ، ولكنها فى حقيقتها مذهب سياسى استعمارى ، والصهيونى هو كل من يروج لهذا المذهب بغض النظر عن عقيدته الدينية ، فتشرشل ، وترومان من غلاة الصهيونية وان كانا مسيحيين .

والايمان بالله يسلح المؤمن بطاقة ذاتية تفوق كل مايحمل على كتفيه وحول جنبيه من سلاح .

وليس أدل على ذلك من المهاجرين والانصار الذين التفوا

حول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقد تركوا الأهل والدار ، والزوج والولد ، والمال والعقار ، وخرجوا ليخوضوا معه معركة غير مأمونة العواقب ، وعدوه كثير كبير ، وضمانات النصر المادى غير مكفولة ... ولكن الايمان بالفكرة قد منحهم صلابة وشوكة وقوة أعانتهم على الصمود ، غزوة بعد غزوة ، حتى كتب الله لهم النصر .

ولو افترضنا ــ كما يحلو لجولدزيهر وغيره أن يزعموا ــ أن غرض هؤلاء المحاربين كان ماديا اقتصاديا ــ لكان سقوط أحدهم صريعا فى أرض المعركة كافيا لتثبيط الهمة وتبديد الصف وانقضاء المغامرة وفرار المغامرين ! ! !

ولكنها جذوة .... جذوة مشتعلة من قبس الهى .

ثم .... اليك مثالا قريب العهد بنا ــ هؤلاء الفتية من شبابنا الذين ذهبوا عام ١٩٤٨ الى أرض فلسطين ، قبل أن تدخلها الجيوش النظامية ، كانوا يندفعون نحو الارض المقدسة كأنهم على موعد مع الجنة فوق سهولها ووديانها ، وفى حين كان بعض الحكام العرب يحيكون خيوط المؤامرة الرهيبة لاخس خيانة لم يعرفها التاريخ منذ يهوذا الاسخريوطى كانت الجذوة المقدسة فى صدور الفدائيين تشتعل نارا وتقوى نورا ، وكان الصوت الآتى من خلف الوهاد والهضاب يهتف بهم أن يقاتلوا ويقتلوا ... وكانت أعظم أمانيهم أن تختلط دماؤهم بتراب أرض الأنبياء .

كذلك مازال العهد قريبا بهـؤلاء الفتية من شـبابنا على ضفتى القناة وكيف كان مجرد تسلل أحدهم الى معسكرضخم من معسكرات الاحتلال نذيرا بابتلاع الأرض له ، فأرق جفن المستعمر ، واختلت موازينه ، وتنغص عيشه ، وحمل عصـاه ورحل ....

ثم لماذا نذهب بعيدا ، ومازالت وقفة جمال عبـد الناصر فى الجامع الأزهر ذات يوم من أيام عام ١٩٥٦ حين أقبلت قوى البغى والخسة تملأ البر والبحر والجو .. ولو أخـذ أحـدنا بظاهر الأمور المادى لراوده الشك فى النصر ولانبهمت عليـه النتائج ، ولضاع شعاع الأمل وسط ضباب اليأس .... ولكن الشعب المؤمن رأى قائده المؤمن وقـد ازدادت ابتسامته تألقا واتساعا كما رأى القائد فى شعبه صلابة العناد ، وحدة العزم ، وكأنما كان القائد والشعب يتخاطبان معا بلغة غير مسـموعة ، ليكتبا معا اتفاقا جبارا عنيدا كان كل منهما يستمد من الآخـر عزيمة واصرارا ، وهذا موقف نادر الحدوث ، فى التاريخ ، لن تجده الا فى تاريخ الاباطرة والأكاسرة لا .. ولا فى تاريخ أعظم الفاتحين كالاسكندر أو قيصر أو نابليون ... انه لا يحـدث الا بين الدعاة وأصحاب الرسالات وبين أممهم حين يدلهم الخطر وتحدق المكاره .

هكذا خضنا الحرب .. مرتين فى عام واحد ، وكان النصر

حليفنا ، واذا سألتني عن السر في ذلك أجبتك بكلمة واحدة لا تعليق بعدها ....

« الله أكبر !! »

لا قيمة للتعبد من صلاة وزكاة وحج ونحوها اذا خلت من صدق النية وقوة الباعث القلبي .. فالقلب في الشريعة والعقيدة مناط النية ، والأعمال بالنيات ، واذا ما اعتاد القلب الصدق في التعبد نشأت لديه يقظة ملهمة أشبه بالرقيب الداخلي الذاتي على كل أعماله في السر والعلن منفردا ، ومع الناس ، وهذا في تقديري أروع ما يمكن أن تقدمه الأديان للمجتمع لأنه اذا احتكم الانسان في علاقاته الاجتماعية ، وفي مسئولياته الى هذا الرقيب الذاتي انضبطت أعماله وكبحت جوامحه ، وهدأت سورته ، وراعى حقوق العمل وحقوق الناس ، ولو أنت أنعمت النظر في بعض النقائص الاجتماعية كالاهمال والرشوة والمحسوبية والتبذير لعلمت أن السر فيها يعود الى نقص الوازع الذاتي ، ذلك لأن رقابة الحكومة تقتصر على ظاهر السلوك ، وجزاءاتها معجلة في هذه الحياة الدنيا ، وفي الامكان أن يستتر الشخص وان يتقن استتاره وأن يفلت من يد القانون ... أما الدين ... أما الايمان بالله .... أما الضمير .. فتلك أمور تتعلق بالحياة الباطنية وجزاءاتها لا تقتصر على عالم الواقع بل تمتد الى الحياة الأخرى ....

ولذا فان كل جهد يوجه لتنمية هذه المشاعر الذاتية انما ينعكس على التصرف الاجتماعى ويهذبه ويوجهه الى الخير العام ..

« وهذا هو ماعناه الميثاق بالحوافز النبيلة التى تؤدى الى أشرف الغايات » .

ان الايمان بالله ضرورة من ضرورات الصحة النفسية .

لأن الانسان اذا أقبل على الحياة ، وما زالت تؤرقه الحيرة ، وتتقاسمه الشكوك ، لايمكن أن يؤدى عمله بطريقة قويمة سوية ...

والمسائل الميتافيزيقية ، كالروح والموت والبعث واليوم الآخر ، لايمكن أن تخضع للتفسير المادى لأنها بطبيعتها غيبية فوق الحس البشرى ولهذا فان امتلاء القلب بالايمان يهدىء من حيرته واضطرابه ، ويكون اقبال الانسان على المجتمع بعد ذلك ، والتفاعل مع أفراده ، على نحو صحيح سليم .

٢ ـ الاعتزاز بالتراث الروحى

« ويكفى أن الأمة العربية تحمل وحدة اللغة التى تصنع وحدة الفكر والعقل ، ووحدة التـاريخ التى تصـنع وحـدة الضمير والوجدان . ووحدة الأمل التى تصنع وحـدة المستقبل والمصير » .

« وفى اطار التاريخ الاسلامى ، وعلى هدى من رسـالة محمد صلى الله عليه وسلم قام الشعب المصرى بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضارة الانسانية » .

« وعى عميق بالتاريخ وأثره على الانسان المعـاصر من ناحية ومن ناحية أخرى لقدرة هذا الانسان بدوره على التأثير فى التاريخ » .

« فكر مفتوح لكل التجـارب الانسـانية ، يأخـذ منها ويعطيها ، لا يصدها عنـه بالتعصب ، ولا يصـد نفسه عنهـا بالعقد » .

« ان الاقناع الحر هو القاعدة الصلبة للايمان ، والايمان بغير الحرية هو التعصب ، والتعصب هو الحاجز الذى يصـد كل فكر جـديد ويترك أصحابه بمنأى عن التطـور المتلاحق ، الذى تدفعه جهود البشر » .

ذلك هو منهجنا فى تناول التاريخ ، وتقديرنا لأصالة تراثنا الروحى ومدى استجابتنا لكل فكرة طيبة من شأنها اعلاء الانسان .

ان لنا رصيدا ضخما من الأفكار العظيمة ، ولا يمنع ذلك من أن نفتح أدمغتنا لكل تطور خلاق يتواءم مع طبيعتنا ويتناسب مع ظروفنا .

وقد لخص الميثاق منهجنا فى ذلك فى أصلين :

بلا تعصب .... وبلا عقد

ان التعصب جمود وتوقف وسلبية ، ولقد أفسح ديننا صدره ليتسع لكل اتجاه حق مادام الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح من مقومات هذا الاتجاه ... قال تعالى:

« ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ــ فلهم أجرهم عند ربهم » .

وقال تعالى :

« لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة » .

وفى القرآن الكريم اشارات بتمجيد الرهبان النصارى ، والاشادة بما بينهم وبين المسلمين من مودة ورحمة .

والسيدة مريم ذات قدر عظيم فى القرآن يفوق قدرها فى بعض الطوائف المسيحية •

وليس هنا مقام التوفيق بين الأديان انما أحببت أن أنوه بما حرص الميثاق عليه من حرية العقيدة ، مادامت هذه الحرية تقصد الى اتاحة الخير وتحقيق السعادة لبنى الانسان •

وابن عربى من مشاهير المفكرين المسلمين يرى وقد نفذ بوجدانه الى جواهر الأديان جميعا ، أن المحبة أصلها الأصيل ، وغايتها القصوى ، يقول :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبى
اذا لم يكن دينى الى دينه دانى

فقد صار قلبى قابلا كل صورة
فمرعى لغزلان ودير لرهبان

أدين بدين الحب أنى توجهت
ركائبه ، فالحب دينى وايمانى

ومن الاسف الشديد أن بعض العرب قد تأثروا بألاعيب الاستعمار فى محاولة ايهام الناس أن الدعوة للقومية العربية تحمل فى مضمونها تعصبا للاسلام وهم يريدون بذلك أن يفتتوا هذه القوة القومية بطريق الطائفية ، والحقيقة أن الوجدان

العربى والوطن العربى قد اتسعا للأديان الثلاثة الكبرى فأرض العرب مهبط هذه الديانات ، والتسامح الدينى خصيصة عربية أصيلة تحدت كل الأباطيل .

والتاريخ العربى يحدثنا كيف حارب عرب الحيرة المسيحيون الى جانب عرب الجزيرة المسلمين ضد الامبراطورية الفارسية ، وقاتل العرب الغساسنة النصارى جنبا الى جنب مع عرب الجزيرة المسلمين ضد الامبراطورية البيزنطية .

وفى تاريخنا الحديث نرى كيف تعاون النصرانى والمسلم فى بث الوعى القومى وتعميق جذوره ، فقد بدأ هذا الوعى يجند ضد الاستعمار التركى على يد بطرس البستانى وابراهيم اليازجى المسيحيين ، وكانت أول جمعية عربية تكونت لمحاربة الاتراك العثمانيين هى « الجمعية العلمية السورية » التى أسسها بطرس البستانى عام ١٨٥٧ وكان يعمل فيها جنبا الى جنب العرب المسلمون والمسيحيون على السواء ، ولما قامت الثورة المصرية عام ١٩١٩ قامت على اشتراك جميع المواطنين مسلمين ومسيحيين ذهبوا سويا يطالبون بالاستقلال ويموتون فى سبيله ، ولما بدأت المراسلات بين الشريف حسين شريف مكة وبين بريطانيا ، للاتفاق على حدود الدولة العربية قبل قيام الثورة العربية عام ١٩١٦ رفض العرب التخلى عن ولاية بيروت التى أرادت بريطانيا فصلها عن الدولة بحجة أن معظم سكانها مسيحيون ، واستند

العرب فى ذلك الى أن سكان الولاية عرب لايفرق بينهم الدين مادامت تجمعهم القومية العربية .

ومما يؤيد ذلك أخيرا ماتقرأه فى مقـررات المؤتمر الثقافى العربى الأول الذى انعقد فى بيت مرى بلبنان سنة ١٩٤٧ (أن العروبة لم تكن فى الماضى ولا فى الحاضر مقصورة على طائفة من الطوائف أو دين من الأديان ، وأن التعاون بين المواطنين العرب على تفاوت أديانهم كان قويا فى الماضى كما كان كذلك فى النهضة العربية الحديثة ، ولم يفرق اختلاف الأديان بين العـرب الا فى العصور التى سادها الحكم الاجنبى ، لهذا تنبغى العناية ببث روح التضامن والتعاون بين مختلف الطوائف واشعارهم بأنهم أخـوة وأن من واجبهم أن يضعوا الأهـداف القومية فـوق الاعتبارات الطائفية) .

وجاء فى توصيات مؤتمر المعلمين العـرب الذى عقـد فى الاسكندرية عام ١٩٥٦ مايلى :

(أن يعمل المعلمون فيما بينهم على ان يجنبـوا أنفسهم وبلدهم مساوىء التعصب الطائفى والخلافات المذهبيـة التى يحرص الاستعمار على توسيعها) .

ونحن نقاوم التعصب الجنسى بنفس الحماس الذى نقاوم به التعصب الدينى ومن أجل ذلك نقف ضـد التفرقة العنصرية ونعتبرها عملا يشين بكرامة الانسان ... والواقع أن التفـرقة

على أساس الجنس مسألة خاطئة من الناحية العلمية ومن الناحية التاريخية .

فمن الناحية العلمية أن الخلط بين الجنس والثقافة لاأساس له لأن الجنس خاصية بيولوجية والثقافة خاصية فكرية .

واذا كان أصحاب هذه الفكرة يدللون بتفوق العنصر الأرى فى صنع المنتجات والمخترعات ، فان واقع التاريخ يقول ان الجرمان كانوا فى فترة طويلة من تاريخهم أمة بربرية تحيا اذا قيست بالنسبة لغيرها ، فى مستوى الحضيض فأين مدنية الجرمان الأقدمين بالقياس الى معاصريهم من المصريين أو الصينيين أو الأشوريين !!! ???

أما الاصل الثانى فى تمثلنا الحضارى فهو أننا نفتح نوافذنا للشمس للأفكار الأخرى بلا عقد .

فما دمنا نملك تراثا روحيا مرموقا كان له أثره فى رقعة تمتد من مشارف فرنسا حتى جدار الصين ، فان لدينا من الثقة مايحفزنا الى النظر فى ثقافات الأمم الأخرى ومذاهبها ، والتأثر بها والتأثير فيها ، دون أن تتهيب سيطرة مذهب أو ثقافة علينا .

وهناك شاهد من التاريخ على ذلك .

فحين ضاع معظم أصول العلوم اليونانية قمنا بنقلها وترجمتها ثم قمنا بتجويدها ، ثم عدنا ننقلها معنا الى أوروبا وهى على درجة عظيمة من الاجادة والتحسين والزيادة .

يقول سارطون :

« انه لعمل عظيم جدا ، أن ينقل الينا العرب علوم اليونان وفلسفتهم وأن يزيدوا عليها حتى أوصلوها الى درجة مرموقةمن النمو والارتقاء » .

ويقول السير وليم اوسلر :

« لئن أشعل العرب سراجهم من القناديل اليونانية ، فانهم مالبثوا أن أصبحوا جميعا شعلة وهاجة استضاء بنورها أهـل الارض » .

نحن اذا لانعانى من النقص ، لاننا حتى فى حـالة الاكتفاء المذهبى الذاتى سنجد فى رصيدنا الروحى الغناء ... وليس أدل على ذلك من أن الامم التى انضوت تحت لواء الاسلام وجدت فيه ملاذا ومهربا من ظلم الاقطاع ، وانعدام الضوابط الاجتماعية

ونحن تتأمل الصراع الدائر الآن بين كتلتى الشرق والغرب، فنجده عاملا من عوامل تفتيت الطاقة البشرية ، وموجها لها نحو الحرب ، ثم نجد كل مـذهب يصبغ معسكره بصبغة التبعيـة السـياسية والاقتصادية والفكرية ، فتضيع شخصيات الشعوب وتصبح أشبه بذيول تجرجرها موسكو أو واشنطن ... ولاشىء غير ذلك .

بل أننا حتى فى داخـل هـذه المعسكرات نلحظ انقساما

مذهبيا خطيرا فالصين وألبانيا قد أعلنتا فى صراحة تمردا على الاتجاه المذهبى الذى تريد موسكو أن تمليه على الشيوعية العالمية .

فنتساءل بعد هذا كله ... أيصلح شيء من ذلك لنا ؟

أيحفظ شيء من ذلك مقومات شخصيتنا ؟

أمن خطر فى اقتباسنا دون أن يجرفنا تيار التبعية ؟

أسئلة نسألها فى صراحة وجرأة ، ونعلن اجابتها فى وضح النهار ، بلاخوف ولاتردد ، اذا شعرنا بخطر يهدد وحدتنا القومية أو تراثنا الروحى أو اتجاهنا السياسى فى الصعيد العالمى

نحن نمد أيدينا الى الدول الكبيرة لنأخذ القروض، لأننا أمة تريد أن تتعجل الزمن فى بناء نهضتها ... ولكننا لايمكن أن تتهاون لحظة واحدة بالتفريط فيما يمس سيادتنا من قريب أو من بعيد مقابل هذه القروض ، لان استقلال شخصيتنا هو آية وجودنا ، ومناط أملنا .

ولقد استطعنا أن نقول للامريكان يوم رفضوا معاونتنا فى بناء السد العالى أننا سنبنى هذا السد بأظافرنا ، بل رددنا الكيل كيلين واسترجعنا القناة وكان هذا العمل بداية لعدة انتصارات متتالية أثبتت كلها أن مقومات شخصيتنا قد نضجت واتضحت

وقويت ، وبرهنت عشر سنوات مضت من عمر ثورتنا على أن شعبنا قادر على مواجهة الحياة كتجربة كبيرة وأن فى استطاعته أن يعدل أو يغير أو يطور مواقفه فى هذه التجربة فى هدى الواقع أولا وفى هدى تراثه ثانيا ، وفى هدى المواقف المماثلة فى البلاد الأخرى أخيرا ، وهو فى هـذه الحالة الأخيرة يراعى الظـروف المتشابهة والظروف المتباينة قبل أن يصدر الحكم بالاقتباس أو رفضه .

ولقد أدهش العالم جميعا أن يسير شعبنا هكذا بلا كتاب مسطور ولا نظرية مخطوطة ، كعهـد الناس بالكتب والنظريات التى تصل الى مرتبة التقديس ولكن واقعية التفكير ، وانفتاح الذهن واصالة الوعى ، كل أولئك قد أتاح للتجـربة أن تنصقل وتنضج ... وجاء الميثاق ليحتوى حياتنا فى ضوء ذلك ، بكل ملامح هذه الحياة ، بكل أهـدافها ، وأساليب العمـل وأنماط السلوك .

* * *

ولايمكن أن نتحدث عن تراثنا الروحى ونغفل موضوعا هاما يرتبط به كل الارتباط ألا وهو « الوحدة العربيـة » التى يعدها الميثاق حقيقة الوجود العربى ذاته ، بل يعد كل خلاف من حولها دليلا على قيامهـا .... وينبه الميثاق الى أصول هذه الوحدة فيجعلها فى وحدة اللغة والتاريخ والأمل .

ويعنينى هنا أن أربط بين هـــذه الأصول وبين التراث الروحى :

فاللغة العربية ليست ذات وظيفة اجتماعية يتخاطب بهـا الناس عبر الحدود العربية لقضاء المصالح فحسب ، بل هى ذات وظيفة ثقافية أيضا ، لانها لغة القرآن ولغة الأدب ولغة الفكر ، فهى عند المسلم العربى أو المسيحى العـربى مرتبطة بتاريخـه وبأمجاده ، وبمـا قدم للانسانية فى مجـالات العلوم والآداب والفنون .

وتاريخ الأمة العربية يقول ان عهود الضعف كانت عهـود التمزق ، وأن الوحدة العربية كانت قادرة ـ وحدها ـ على صد كل عدوان خارجى ودحر كل تدخل أجنبى ، ويقـول التاريخ أيضا أن المغول حين أقبلوا كانوا يجرفون نحو اليم كل مايصادفهم من كتب ومكتبات عربية ؛ وأن الصـليبيين حين أقبـلوا كانوا يودون القضاء على القوة المعنوية الروحيـة التى تسود الوطن العربى وتجمع من حولها المسلم والنصرانى ، وأن اللورد اللنبى حين دخل بيت المقدس بعد ذلك بمئات السنين لم ينس حقـده الأسود الذى انحدر اليه عبر القرون ... قال « ها قد عـدنا ياصلاح الدين » .

فما معنى هذا كله ... معناه أن عدونا يدرك ادراكا تاما أن منابع القوة كامنة فى اتصال تاريخنا بعقائدنا ، وانه لا انفصـام بينهما ، فهل يعى دعاة التفرقة والانفصالية ذلك ؟

أما وحدة الأمل التي يصفها الميثاق بأنها هي التي تصنع وحدة المستقبل والمصير ... فلن أحدثك عنها بأكثر من ان أضع بين يديك صورة لاسرائيل لتدرك الطرف المقابل .

اليهود الذين لاتربطهم بفلسطين ، وببني جنسهم ودينهم المشتتين في بقاع الأرض الا رابطة مزعومة منذ ألفي سنة ، قد حافظوا على هذه الرابطة وجعلوا انتظار العودة أمل الابناء والاحفاد ، وغذوا هذا الامل بكل مايملكون وحاربوا من أجله نساء ورجالا ، وعلموا أنهم يشترون بهذا الأمل وطنا روحيا ومجالا ماديا حيويا يضمن لهم امتداد جنسهم وسيادة عنصرهم ومثلهم ...

فهل يظن دعاة التفرقة في العالم العربي أن من المحال أن يجتمع العربي في مصر وفي سوريا وفي العراق وفي الأردن على أمل واحد بعد أن شهدوا اليهودي اليمني واليهودي البولندي واليهودي المراكشي المغربي واليهودي الالماني تربطهم — على الرغم من اختلاف الثقافة وأسلوب الحياة واستعداد الذهن وتباين الالسنة — آمال لاحد لها ، صنعت منها الدعايات والاباطيل أنشودة مقدسة في فم الطفل اليهودي والرجل اليهودي على السواء ؟؟؟

من أجل ذلك أعلنها الميثاق قوية جـريئة صريحة لاتقبل الشك :

« أن الجمهورية العربية المتحدة ، وهى تؤمن بأنها جزء من الأمة العربية لابد لها أن تنقل دعوتها ، والمبادىء التى تتضمنها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربى ، ولا ينبغى الوقوف لحظة أمام الحجة البالية القديمة التى قد تعتبر ذلك تدخلا منها فى شئون غيرها » .

« ان مساندة الجمهورية العربية المتحدة لكل حركة شعبية يجب أن تظل فى اطار المبادىء الأساسية » .

« وهى مطالبة بأن تفتح مجال التعاون بين جميع الحركات الوطنية التقدمية فى العالم العربى كما أنها مطالبة بأن تتفاعل معها فكريا من أجل التجربة المشتركة » .

أرأيت انها وحدة لا تتم فى نظر الميثاق الا على أساس من المبادىء والأفكار والتعاون .

« لأنها لا يمكن ، بل لا ينبغى ، أن تكون فرضا ... »

« ولأن القسر بأى وسيلة من الوسائل عمل مضاد للوحدة » .

٣ ـ فهمنا لحقيقة الدين

« ان رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته ، وان واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته » .

« ان جوهر الرسالات الدينية لايتصادم مع حقائق الحياة وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ــ ضد طبيعته وروحه ــ لعرقلة التقدم ، وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السامية » .

« لقد كانت جميع الأديان ذات رسالة تقدمية ، ولكن الرجعية التى أرادت احتكار خيرات الأرض لصالحها وحدها ، أقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين ، وراحت تلتمس فيه مايتعارض مع روحه ذاتها كى توقف تيار التقدم » .

واذا فان الميثاق يرى الدين رسالة تقدمية ، ويرى كل عرقلة لهذه ــ الرسالة ، بالجمود أو التزمت ، أو الجهل ، أو التفسير المفتعل المغرض يرى ذلك كله محاولات رجعية تصد الدين عن الحياة ، عن البناء ، عن اسعاد البشر ... ولاتقل هذه المحاولات الرجعية خطورة على الدين من ذهاب الشيوعية الى عزل الدين

عن المجتمع ، وكل منهما ينكر أثر الدين فى تطوير الحياة ،ودفع عجلة تقدمها ، وان اختلفت ظواهر الدعوى فى الحالين .

ومن عجب أن بعض الحكام العرب الذين يتظاهرون اليوم بأنهم سندة الدين وينذرون بمـا سيصيبه على يد الاشتراكيـة العربية من ويلات ... من عجب أنهم سادرون فى حمأة الرذيلة، يكنزون الذهب والفضة لينفقوهما فى مواخير أوربا وأمريكا ، وفى الاتجار بالرقيق الابيض ، وفى نسج المؤامـرات وحبـك الاغتيالات والانقلابات ... تاركين شعوبهم وديعـة بين أيدى الفقر والجهل والتخلف .

أما هذه الاشتراكية التى تبنى السدود والأفران الذريـة وتوسع مساحة الخضرة على جانبى النهر العظيم ، وتنشر التعليم وترفع ألوية العزة والكرامة فوق هامة الانسان العربى ...هذه الاشتراكية فى زعمهم ملحدة ، تنكر الدين وتعتدى على حقوق الناس وأموالهم .

وعندئذ سأتوقف بك أيها القـارىء لأنقل لك صـورة سريعة عن موقف الدين من الذين ينطقون زورا باسمه ــ لتدرك أن الدين رسالة لاصلاح المجتمع ، وان اشتراكيتنا حين صنعت ماصنعت لم تجافه ولم تقاومه ، بل سايرته شـبرا بشبر وذراعا بذراع .

وحقيقة الأمر أن القوى الرجعية فى الشرق العربى تستغل

نفوذ الدين عند جماهير الناس وتتوهم أن الجماهير من السذاجة بحيث يصيبها الجزع لما سيحل به .

يعلن الميثـاق فى عشرة مواضع أو تزيد تمسكنا بالأديان، ويناشد المفكرين الدينيين ان ينشروا على الخاصة والعامة سلامة الفكرة الدينية ، وقدرتها على الاسهام فى حل مشاكل المجتمع .

• الاسلام دين المساواة ، فلا أثر فيـه لتميز طائفـة عن الأخرى نتيجة أسباب مادية ومعايير التمييز بين الأفراد فى المجتمع ترد الى مقاييس مثالية معنوية كالتقوى « لافضل لعـربى على أعجمى الا بالتقوى » .

والعلم « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

والعمل الصالح « من عمل صالحا من ذكـرا أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » .

والجهاد « لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم » .

واذا فليس ثمة فضـل لاقطاعى أو انتهازى أو مـراب ، وانما الفضل للاتقياء والعلماء والعاملين والمجاهدين ، فالاسلام بهذه المساواة يقر اذابة الفروق بين الطبقات ، ولكنه فى الوقت نفسه يعترف بالفروق المميزة بين الأفراد .

• وليس فى الاسلام تحطيم لمعنوية الانسان حتى يرضى بالكفاف ويحيا حياة التسول ... انما العمل فى الاسلام شرف وكرامة ، لاننا من خلال العمل فى الحياة الدنيا نميط اللثام عن خفايا أنفسنا ، تجاه الخالق والمخلوق ونستحق بالضرورة بعد ذلك مانستحق من ثواب أو عقاب ، فالعمل هو مختبر شخصيتنا ومعيار لفضائلنا .

• أفلا يسمع حكام العرب الذين كتبوا على أقوامهم المذلة والخنوع والضعف قوله تعالى :

« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ، قالوا ، كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » .

أولا يسمعون قوله تعالى :

« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

ان الحوافز النبيلة لتغيير الأوضاع الاجتماعية المريضة ، والقضاء على أصول التأخر والضعف أمور حيوية وضرورية فى حكم الدين .

• لقد حارب الاسلام كل مظاهر الاحتكار والاستغلال فى حياة الناس المعاشية ، حارب المرابين والمطففين وآكلى أموال

الناس بالباطل ومكتنزى الاموال والاطعمة والسلع عن الناس .

يقول الرســـول « بئس العبـد المحتكر ان أرخص الله الاسعار حزن وأن غلاها فرح » .

ويبشع القرآن انتهاز المرابين للفرص وينذرهم بالحرب :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون » .

لاظلم منك ... ولاظلم عليك ... تلك هى خلاصـــة العدالة الاجتماعية فى نظر الدين .

• وليس من حق صاحب العمل حرمان عماله حقوقهم .

وقال (ص) « أعطوا الاجير قبل أن يجف عرقه » .
خصمه خاصمته : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره » .

وقال « ص) « أعطوا الأجير قبل أن يجف عرقه » .

• ويستأصل الاسلام شأفة الاقطاع ، ولايرى ملكيـــة الارض الا على أساس من الحق فيقول الرسول (ص) :

« من أخذ من الارض شبرا بغير حقه خسف به يوم القيامة الى سبع أرضين » .

• ولا بد عن توزيع الثروة الاجتماعية أن تراعى العدالة حتى لا يهضم حق الفقير « كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم ».

• وينادى الاسلام بملكية المرافق العامة :

يقول الرسول (الناس شركاء فى ثلاثة الماء والكلأ والنار).

• وليس فى التاريخ الانسانى حروب تحمل رايات العدالة والخير كما حملت حروب المسلمين ، فان أول حــرب سيرت فى التاريخ لحفظ حق الفقير كانت بأمر أبى بكر ضد مانعى الزكاة •••وما الاصل فى فتح البلاد بعد ذلك الا محاولة للوصول الى وحدة عالمية تؤمن بالمثل والقيم .

وبعـــد ••• فليس هاهنا بســط لوسائل الدين فى تنظيم الحياة الاجتماعية انما أحببت أن أصــور بعض ملامح سريعــة لهذه الفكرة لأثبت كيف يتصل الدين بحياتنا اتصالا وثيقـــا ولأثبت كذلك أن مانحاوله فىالجمهورية العربية المتحدة لايخرج عن الهدف الرئيسى للدين وهو « تكريم عنصر الانسان » ••• الانسان خليفة الله فى الارض ، الانسان الذى يحمل روحا من فيض الله ، الانسان الذى يستطيع بفضــل الله أن يهتــدى بالعقل الى مايشبه المعجزات •

٤ ـ اشتراكيتنا مؤمنة

الميثاق هو الاطار الشامل لحياتنا ، لكل مافيها من قـوى مادية وقوى معنوية ، وبتعاون هذه القوى جميعا نصنع تاريخنا ، ونضع آمام الانسان العربي نموذجا لطريقة حياته وتحـركه فى هذا الطور من التاريخ وفى الاطوار التالية .

كان حتما أن يستوحى الميثاق من معنوياتنا ، وعلى الأخص فى جانبها الدينى مايؤيد استقلال شخصيتنا .

جاء الميثاق والحضارة الغربية تتصارع فى مذهبين : مذهب رأسمالى لايعيش الا فى كنف الاستغلال والاستعمار ، ولايقوى الا على حسابهما ، مثلما قويت الوثنية الرومانية على العـدوان والبطش والمنفعة .

ومذهب شيوعى يقاوم كيان الفرد ، ويعتبر الدين مثبطا لهمته ، وحائلا بينه وبين الذوبان فى الدولة ، ومخـدرا لعقله ؛ لانه كما يقول كارل ماركس ، لاوجود لله ، والحياة مادة بحتة ، ورسالة العمال الشيوعيين هى القضاء على الدين والداعين له .

لقد اخترنا طريقا وسطا ، أثبت بنجـاحه ان الرأسـمالية وان كانت لا تصـلح لمجتمعنـا ، فان الشيوعية ليست البديل

الأوحد لها ، لأننا اذا كنا نرفض التبعية السياسية ونحاربها فى شتى صورها ، فاننا نرفض التبعية المذهبية لانها فى نظرنا أدهى وأمر .

وفى الجلسة التى عقدها المؤتمر الوطنى مساء ٣١ مايو ١٩٦٢ شرح الرئيس أهم الفروق بيننا وبين الشيوعية أو الماركسية اللينينية :

(الفرق الاول) أننا نؤمن بالدين والرسل ، ولهذا قلنا فى الميثاق « ايمان بالله لايتزعزع » بينما الماركسية تنكر ذلك وتعتبر الدين أفيون الشعب .

(الفرق الثانى) أننا نريد أن ننتقل من ديكتاتورية الرجعية الى ديموقراطية الشعب كله ، بينما الشيوعية تنتقل من ديكتاتورية الرجعية الى ديكتاتورية البروليتاريا ، أى أنها ديكتاتورية طبقية ، ونحن نرفض ديكتاتورية طبقة من الطبقات.

(الفرق الثالث) أن الماركسية تنص على تأميم الارض ، ونحن لانؤمم الارض ، لأننا نؤمن بالملكية الفردية فى اطار من التعاون .

(الفرق الرابع) أن الشيوعية لاتؤمن بالملكية الخاصة ، ولكننا نؤمن بالملكية الخاصة بحيث لاتوجه الى الاستغلال .

(الفرق الخامس) ان الماركسية تقضى على الطبقة

البورجوازية الرجعية بلا تعويض ، وبطرق القمع والعنف والتحطيم ــ ولكننا نحل التناقض بالوسائل السلمية .

والواقع أن ماركس متأثر فى فهم المجتمع على هذا النحو برأى هيجل فى تطور الفكر الانسانى على نحو ديالكتيكى ، يرى أن كل فكرة تحمل فى أحشائها بذور فنائها ، اذ هى لن تبلغ الكمال المطلق ، ومن ثم يوجد نقيضها ، وهذا النقيض فكرة بذاتها ، تحمل أسباب زوالها أيضا ــ وينشأ عن الصراع بين الفكرة ونقيضها فكرة جديدة هى نقيض النقيض ، تجمع بين الفكرة الأولى ونقيضها ثم تقضى عليهما معا ، ثم تأخذ صورة الفكرة الأولى فيما تحدثه من تطور ، فينشأ نقيض مشابه لها فيتصارعان وتنشأ عنهما فكرة ثالثة ، وهكذا يجرى الفكر الانسانى فى تطور حتمى مستمر .

طبق ماركس هذه الفكرة على التطور الاجتماعى ، بمعنى أن كل نظام عنده يحمل فى أحشائه قوى مناقضة ، تنتهى به الى الفناء ليحل محله نظام اجتماعى آخر ... وعلى ذلك فان تاريخ أى مجتمع هو تاريخ صراع الطبقات فيه .

ففى القديم قام النزاع بين الأرقاء والسادة ثم انتقل التاريخ الى الاقطاع فنشب الصراع بين السادة ورقيق الارض حتى انتهى الاقطاع وحل محله النظام الرأسمالى الذى سيجرى عليه لا محالة حكم هذا القانون طبقا لحتمية التطور التاريخى

على أننا نستطيع من واقع التجربة الاشتراكية العربية ، بل من واقع مذهب ماركس نفسه ، أن ننقد الشيوعية الماركسية ، فنقول :

ان غاية الماركسية هى انتصار طبقة البروليتاريا — أى الطبقة العاملة — ولكن ديكتاتورية هذه الطبقة تخلق فى داخلها الصراع المحتدم ، بمعنى أنها مخلوق اجتماعى لم تستقر ملامحه النهائية بعد — واذن فطبقا لحتمية التاريخ لن يتوقف المسير الاجتماعى عند واحة البروليتاريا .

وأضف الى ذلك أن انكار القيمة الذاتية للفرد ، وانكار حقوقه وحرياته واقتلاع الدولة لكل مافى المجتمع من حقوق وحريات ... كل أولئك لايبشر باستقرار اجتماعى مأمول ، لأن الدولة ستجد نفسها دائما وأبدا فى حالة حرب ضد أعدائها فى الداخل والخارج — وستعامل أنصارها وأعداءها على السواء بوصف كونها فى حرب ، وعلى ذلك فلا حرية للانصار ، وانما عليهم الطاعة والخنوع ، ولا رحمة بالاعداء وانما لهم الموت والفناء ، وعلى ذلك وأخيرا فان كل ماتفرضه الدولة ينبغى أن يؤخذ كالعقيدة التى لاتقبل المناقشة أو المجادلة من جانب المحكومين .

أما نحن فالسلام رائدنا فى حل الصراع الطبقى ، والسلام غايتنا فى سياستنا الخارجية ، والاقناع العلمى خير وأبقى عندنا — كما يقول الميثاق — من السخرة وحمامات الدم . والفرد عندنا

له كيانه وشخصيته وحقوقه وواجباته وحرياته ومواهبه ، ولاتتدخل الدولة فى هذا كله الا عند اللحظة التى يبدأ فيها استغلال حرياته وحقوقه استغلالا ضارا بالمجموع .

واشتراكيتنا فى هذا متأثرة بالدين ، الذى يقدر فردية الفرد ، لانه فى اليوم الآخر سيحاسب ــ كفرد ــ على ماقدم من خير أو شر .

كما أن اشتراكيتنا متأثرة بالقيم الانسانية ، التى تؤمن بأن احساس الانسان بكرامته وكينونته هو أنصع الفروق بينه وبين البهائم ، كما أن بداية السعادة الحقيقية لاتكون الا اذا شعر الانسان بهذا الاحساس فى حين أن الماركسية متأثرة فى فكرة الفرد والدولة بالفكر الاوربى ، وعلى الاخص بفلسفة هيجل الذى يرى الدولة مصدر الحقوق ، والحريات ، والافراد فى المجتمع يستمتعون فى رأيه بحرية أصدق من تلك الفوضى التى عاشوا فيها فى تلك الحالة الطليقة من القانون . ويرى الحرية الصادقة تترتب للفرد فى داخل المجتمع . فالدولة هى التى تمنح الفرد الحرية ، وهى تفعل ذلك لان لها ارادة مستقلة ، هى الارادة العامة المنبثقة من تمثيلها لرغبات أعضائها ، فكل أعمالها سليمة من كل عيب ، لانها تموه الارادة العامة ، وللدولة كذلك شخصية مستقلة ، ولهذه الشخصية حقوقها التى تسمو فوق كل خلاف ، وتعلو على حقوق الافراد ، ومادامت الدولة هى صاحبة المنح ،

فان لها الحق كل الحق فى أن تسيطر على حيوياتهم ، وتتصدى لمشكلاتهم وتضع لها الحلول .

أما فى اشتراكيتنا العربية ، فان القوة العليا فى نظر الميثاق، هى الوحدة الوطنية ، وأول الطريق الى هذه الوحدة الوطنية هو عزل الرجعية عزلا تاما عن الحكم وجهاز الدولة وتجريدها من كل أسلحتها . ثم يأتى من بعد ذلك دور الحلول السليمة لمشاكل المجتمع داخل الوحدة الوطنية ويبدأ التفاعل السلمى بين قوى الشعب العاملة وهى الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون والرأسمالية الوطنية — وهذا التفاعل تحكمه مبادىء أساسية هى :

١ — قيام التنظيمات الشعبية بالانتخاب الحر المباشر لتمثيل الأغلبية الشعبية .

٢ — تعلو سلطات المجالس الشعبية المنتخبة باستمرار فوق أجهزة الدولة التنفيذية .

٣ — وفى داخل الوحدة الوطنية المتمثلة فى الاتحاد الاشتراكى العربى ينشأ جهاز سياسى جديد يجند عناصر القيادة وينظم جهودها .

٤ — جماعية القيادة لكبح جموح الفرد ونزواته .

٥ — النقد والنقد الذاتى كضمان للحرية .

٦ ــ تغيير القوانين ونظم التعليم واللوائح لابراز مفاهيم الثورة الديموقراطية .

بهذا يمكن أن يجرى العمل الديموقراطى على نحوتتجنب به اشتراكيتنا الاصطدامات الطبقية .

والشيء الذى سيلفت الانظار فى آسيا وافريقيا بخاصة الى اشتراكيتنا أنها لن تتكون بطريق حزب ــ كالحزب الشيوعى ــ كما أنها لن تضطلع بها ديكتاتورية عسكرية تستمد قوتهــا من الجيش والبوليس . انما حرص الميثاق فى أكثر من عشرين موضعا على أن ينسب الى الشعب ، كل الخطوات التى بلورت فى النهاية العقيدة الاشتراكية العربية .

فالثورة ليست عمل فرد ، انما الثورة عمل شعبى تقدمى ، والعمل الثورى الصادق لايمكن أن يتم بغير شعبيته وتقدمه ، وأعظم مافى ثورة ٢٣ يوليو أن القوات التى خرجت من الجيش لتنفيذها انما كانت أداة شعبية لها ، والشعب المعلم ، وأصــالة الوعى الشعبى وقوته هى التى فرضت أن يكون الحدث الكبير ليلة ٢٣ يوليو خطوة على طريق تغيير جذرى شامل ... وهكذا ... وهكذا لايفتأ الميثاق ينبه الى دور الشعب وأصالته ووعيه، وأن الايمــان به أعظم ضــمان لتحقيق كل المكاسب الثــورية العظيمة ــ وليس على الشعوب الاسيوية الافريقية التى مازالت تعيش فى نفس الظروف التى عاش فيها شعبنا منذ عشر سنوات الا أن ترسم خطاه وتنهج نهجه .

القيم الإنسانية فى الميثاق

المتأمل فى ثوراتنا الثلاث ــ السياسية والاجتماعية والثقافية يلحظ أننا فيها جميعا نطمح الى هدف أساسى ، هو « تكريم الانسان » وآية هذا التكريم فى نظر كل ثورة من ثوراتنا اشراك الانسان فى مقدرات وطنه .

فالثورة السياسية تطلب بطريق الديمقراطية الصحيحة أن تشرك كل مواطن فى حكم بلده .

والثورة الاجتماعية تطلب بطريق الاشتراكية الصحيحة أن ينال الفلاح والعامل نصيبا فى الارض والمصنع .

والثورة الثقافية يراد منها بطريق « دعوة العلم للمجتمع » أن يحظى من حرم العلم بظروف مواتية لأن ينال قسطا منه كى يشارك فى المساهمة الفكرية الناهضة .

وراء كل سطر فى الميثاق هدف بعيد أو قريب لكل ثورة من هذه الثورات ، وبهذا يمكن القول أن ثورتنا قد تحولت الى دعوة ، دعوة انسانية تنقذ عالم اليوم مما هو مقبل عليه من أهوال وأخطار .

ويمكن أن نحدد أبرز القيم الانسانية من خلال الميثاق فى ثلاث :

(ا) الحرية .

(ب) العلم .

(ج) السلام .

أ ــ الحرية

نحن أمة ابتليت بالاستعمار من شتى الاجناس ، وابتليت بآثامه على مر العصور ، فلا عجب أن ينطبع فى خاطرنا دائما وأبدا طرفان متقابلان :

أما أحدهما فهو الاستعمار باعتباره أقذر جريمة ترتكب فى حق الانسان والآخر هو الحرية باعتبارها أقدس الحقوق التى تنقل الانسان من وهدة العبودية الى قمة السيادة ، من اختناقة الضحية الى نعمة الانطلاق .

من أجل ذلك تساقط الآباء والاجداد صرعى على مر الأجيال ، حتى أسلمونا هذه الأمانة الغالية ، وكان حتما أن نتشبث بها ، وأن نهيىء لها أن تتغلغل فى أدق دقائق حياتنا ، وأوشكت أن تكون فى الميثاق غايته المثلى التى ليس بعدها غاية .

تناول الميثاق الحرية فى ضوء استعراض صور النضال الشعبى وتوقف عند كل مرحلة وقفة متأنية ليتفقد أسباب النجاح وأسباب الاخفاق فى كل مرحلة ، وخلص الميثاق من هذا العرض الى الحقيقة التالية :

« بعد عهود طويلة من العذاب والأمل تبلورت أهداف النضال العربى ظاهرة واضحة ، صادقة فى تعبيرها عن الضمير الوطنى للأمة .

« وهى الحرية والاشتراكية والوحدة » .

ثم مضى الميثاق فى مواضع متناثرة ليتحدث عن « حرية الوطن وحرية المواطن » وعن العلاقة بين « حرية التصويت ولقمة العيش » .

وعن « حرية التنظيم الشعبى المستند الى التمثيل الفعال للشعب » وعن « حرية الكلمة » و « حرية النقد » و « حرية الصحافة و « حرية العقيدة الدينية » و « حرية العلم » و « حرية الاجتماع والمناقشة » حتى ليمكن القول أنه توقف عند كل جانب من جوانب الحياة ليربط بينه وبين الحرية برباط وثيق .

ولكن محصلة هذه التوقفات انتهت بالميثاق ، الى قضية كبيرة خالدة تستحق أن توضع المؤلفات الكثيرة فى شرحها وتفسيرها :

« ان للحرية جناحين لاتستطيع بدونهما أن تحلق الى الآفاق العالية التى تتطلع اليها جماهير الشعب وهما الاشتراكية والديمقراطية » .

لايمكن أن تتحقق الحرية الا اذا خلص الفرد فى المجال الاجتماعى من كل قيود الظلم والاستغلال ، وخلص فى المجال السياسى من كل دواعى التضييق والتضليل ... عندئذ تصبح الرؤية صافية ، ويمكن أن يشاهد ملامح مستقبله ، بل يمكن أن يصنع هذه الملامح وأن يشكلها وفق ارادته ومشيئته .

وتوسيع قاعدة الحرية بتوسيع قاعدة التمثيل السياسى معناه فى نظر الميثاق أن نطاق الحرية قد امتد الى أوسع مداه ، وأن اشتراك الشعب فى تحمل مسئوليات الحكم ، سيضمن للعمل الثورى ايجابيته وفاعليته فى حين كان قصر التحرر على فئة محدودة من الناس فى الجانبين السياسى والاجتماعى يهدد الحياة ولا يضمن للمكاسب الشعبية ــ ان وجدت ــ استمرارا أو استقرارا .

ان الشعور بالحرية يضمن تجدد الوعى الشعبى ، لان الفرصة ستكون مواتية لظهور قيادات جديدة وأفكار جديدة أكثر تحمسا وأعظم اصابة من سابقاتها ، وبهذا كله يضاف الى وجه الوطن مزيد من كرات الدم الجديدة تكسبه تألقا وعافية واشراقا .

ونحن لا نستقى مبادىء التحرر من كتابات فولتير وراسين

وكورنى التى أعلنوها كشعارات للثورة الفرنسية ، والتى طبقوها على الانسان الفرنسى وحده ، والتى تنكروا لها خارج الحدود الفرنسية ، وأنكروها على الانسان فى المستعمرات ...
نحن لا نستورد هذه الآراء انما نستوحيها من تراثنا ومن تاريخنا : ففى الاسلام حرية العقيدة الدينية وحرية التملك وحرية الهجرة والتنقل وحرية السكن وحرية الرأى « فلقد أصابت امرأة وأخطأ عمر » ويقول عمر كذلك « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » .

ولكى تدرك عظمة هذه الحريات أضع بين يديك وصف المؤرخ الانجليزى جيبون لحياة الامبراطورية الرومانية فى مثل هذا الوقت :

« كان ظلم الاغنياء يزيح الاعباء الجائرة الى كواهل عامة الشعب الذين كان الاغنياء يسلبونهم ويخدعونهم ، حتى لقد بلغ من شدة وطأة ديوان المصادرة فى أعقاب أموالهم وايقاع ألوان العذاب بهم ان صار الرعايا ، يؤثرون حكم البرابرة (أى قبائل الهمج فى شمال أوروبا) وهو أخف بالنسبة لهم من عسف الروم أو يلجأون الى الجبال والغابات هربا بأنفسهم ، بل انهم كانوا يضطرون الى الهبوط الى أحط مراتب الانسانية ويرضون أن يصيروا عبيدا مسخرين للسادة . فأدى هذا الى أن كره عامة الشعوب لقب المواطن الرومانى وتبرأوا منه . الى أن قال : وخلاصة القول ان الدولة الرومانية ان بقيت بعد

وقت فقد بقيت بعد أن فقدت فيها الحرية والفضيلة والشرف» .

والخلاصة أن دعوتنا الميثاقية انما تنبع من تلك الدعوة الخالدة التى سبقت الثورة الفرنسية ـ أم التحرر الاوربى ـ بمئات السنين ، وكانت ألوية هذه الدعوة تضم من تحتها كافة البشر بلا تمييز فى الجنس أو اللون أو العقيدة .

وأحب قبل أن أختم هذا المقال عن الحرية أن أهمس همسة خافتة فى آذان أهل الصحافة باعتبار انهم كانوا موضع اهتمام الميثاق أولا ، وباعتبارهم ذوى نفوذ كبير فى توجيه الشعب وقيادته بما لايدع مجالا للانكار ـ ثانيا .

الصحافة فى المجتمع الرأسمالى لا ضير عليها أن تتناول المسائل الفردية لان الطبع الانانى الفردى من سمات ذلك المجتمع ، ولذلك تمتلىء صحفه بالتشهير والنفاق والطبل والزمر ... لان اعتماد الصحيفة على الاعلان أكبر مصادر تمويلها ، والاعلان مرتبط بالشركات الاحتكارية .

أما فى المجتمع الاشتراكى فالخطأ ـ ان حدث ـ حجمه كبير ، لانه سيؤذى أكبر عدد من الناس يتأثرون به ، ومن هنا وجب أن ترتفع الصحافة الى مستوى القيادة ، وأن تترفع عن التفاهات والذاتيات ، بمعنى أن تكون موضوعية ، وأن تكون رائدة ، وأن تخلص النصح والتوجيه ، وأن تكون نموذجا طيبا للمشاركة الوطنية الجادة الواعية يستفتح به الناس يومهم قبل أن يبرحوا بيوتهم كل صباح .

ب — العلم

ان العلم هو أوثق القيم الانسانية بالحرية .

ذلك لأن العلم فى أدق تعريفاته انطلاقة العقل الانسانى .

ولقد صدق الرئيس حين قال فى أحد احتفالات عيد العلم :

« عقيدتى الثابتة أن العلم على اختلاف نواحيه هو الوسيلة الحقة لتطوير مجتمعنا ، ويد العلم وحدها هى القديرة على أن تحول أحلام الشعب الى واقع ، وأن تترجم آماله الى خطط واضحة المناهج ، ان العلم هو طريق الحرية الحقيقية ، والجهل هو أشد ألوان العبودية ظلاما » .

ولقد اعترف الميثاق بما اعترف به رجال التربية من أن تجربة الصواب والخطأ احدى طرق المعرفة ، ولكن الميثاق يعترف أنه :

« بدون العلم فان التجربة والخطأ تصبحان نزعات اعتباطية قد تصيب مرة لكنها تخطىء عشرات المرات » .

كما اعترف الميثاق بأهمية العلم فى التخطيط ، فنحن فى عصر لا تسير فيه أمور الحاضر والمستقبل سيرا عشوائيا ، بل لابد من حسبان لكل خطوة من خطوات المسير ، وعلى هذا

فان العمل الوطنى لايمكن أن يؤدى الى نتائجــه المرجوة ما لم ينسلح بسلاح العلم ... وما فروع العلم المختلفة الا احتياجات الشعب أو بعبــارة أدق الا وفاء لاحتياجات الشعب ...... فبناء السد العالى ضرورة شعبية ، ولأننا اذا وضعنا فى الاعتبار أننا نزيد كل عام نحو نصف مليون نسمة ووضعنا فى الاعتبار مساحة الاراضى المنزرعة حاليا والموارد الاخــرى من التجارة والصناعة ونحوها .. لتصورنا أية كارثة ستحل بنا اذا وقفنــا جامدين على حال ثابتة بلا تقدم أو تطوير .

ان السد العالى ــ وهو مفخرة علمية من مفاخر القــرن العشرين ــ سيروى مليون فدان ويحول ٧٠٠ ألف فدان الى رى دائم ، ويمد بالماء ٧٠٠ ألف فدان جــديدة تزرع الارز ، وينتج طاقة كهربية تقدر بعشرة مليارات كيلووات ساعة كــل عام ، ويزيد الدخل القومى ١٥٠ مليون جنيه والدخل الحكومى ٢٠ مليون جنيه سنويا .

هــذه العظمة المــادية الهائلة ركزها الميثــاق على دعامة معنوية أطلق عليها ارادة الشعب .

والشعب الذى تتحرك ارادته فى فلك العلوم ، شعب يكتب له الخلود وما استوى المصريون القدماء على عروش الحضارة الانسانية الا لمهارتهم فى الطب والهندسة والبناء والفنون ... وما نحن الا حفدة هؤلاء العمالقة .

وليس من قبيل الافتعال أن نرجع المعجزات التى تحققت على أيدى الرسل الى أصل علمى ، فقد كان على هؤلاء الرسل أن يبزوا أقوامهم فيما برعوا فيه من مهارات ، فموسى ألجم السحرة ، وعيسى بهر المتطببين ، ومحمد أعجز العرب بما أتى به من آيات بينات أذهلتهم وهم أهل الفصاحة واللسن والبيان .

والمتأمل فى تاريخنا الروحى يلحظ اهتمام ديننا بالعلم والتعلم ، فلقد حبب الاسلام الى العلم ، وزين الاغتراب فى سبيله وفرضه على كل مسلم ومسلمة ، وجعله معيارا للتمايز بين الافراد .

وقرع القرآن هؤلاء الذين يتشبثون بالتقليد والالف تاركين عقولهم كالطاقات المعطلة ، يقول : « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » .

ولقد يحسن أن أصور لك قوة نفوذ العلم فى تغيير الحياة تغييرا شاملا حين أذكرك بما كان عليه العرب فى الجاهلية من أمية وجهل .. وجاء الاسلام فأفاد الحركة العلمية لان نشر الدين كان يستتبع الحاجة الى القارئين الكاتبين ، وقد أمر النبى (ص) أن يفدى بعض الاسرى الذين يكتبون حين يعلمون عشرة من صبيان المدينة ، وحث النبى (ص) بعض أصحابه على تعليم لغة غير اللغة العربية لان حاجة الدعوة تتطلب ذلك ،

فيروى أنه قال لزيد بن ثابت « انى أكتب الى قوم فأخاف أن يزيدوا على أو ينقصوا فتعلم السريانية ، فتعلمها فى سبعةعشر يوما » .

وكان لابد للعرب كفاتحين أن يتعلموا القراءة والكتابة كى يستطيعوا مجاراة الموالى وهم ذوو ثقافات قديمة عظيمة .

وقد ارتفع الاسلام بالمستوى العقلى للمسلمين بما نشره من قصص ومواعظ عن الأمم السابقة والأنبياء والرسل وبما فصله من أحكام الزواج والطلاق والشئون المدنية والجنائية ، فضلا عن أن حوافز الايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر كانت منبعثة من الحث على التدبر فى نظام الكون .

وما أن نصل الى القرن الثالث الهجرى وبعده حتى يدهشنا أن يقف المسلمون فى تاريخ الفكر الانسانى وقفة الاساتذة ، فقد ساعدتهم العبقرية العربية ، وطبيعة الدين أن يهضموا ويتمثلوا كل مايقع تحت بصرهم من نتاج علمى أو أدبى أو فنى .

ويقول مؤرخ أوربى كبير « احذفوا العرب من التاريخ يتأخر عصر التجديد فى أوروبا عدة قرون فلقد لمع العرب فى كل الميادين العلمية ، وفى الوقت الذى كان فيه الشعراء والادباء والفقهاء يقومون بأدوارهم فى نهضة العرب الروحية والنفسية والخلقية كان العلماء فى كل الميادين يقومون

بقسطهم من البحث والنقل والتجويد ... لم يدعوا بابا الا طرقوه ، ان لم يكونوا قد فتحوا فى العلم أبوابا جديدة » .

ويقول العلامة كاجورى :

« ان العقل ليدهش عندما يرى ماعمله العرب فى الجبر ، والواقع أن كثيرا من النظريات المتأخرة جاءت على ألسنة علماء العرب وذكروها فى مصنفاتهم ، كالتشابه الواضح بين نظرية أينشتاين فى الجاذبية وآراء الفارابى فيها » .

والفارابى — كما يقول مصطفى عبد الرازق — أول من صنف دائرة المعارف فى العالم .

ولقد كانت الساعة التى أهداها الخليفة هارون الرشيد الى الامبراطور شارلمان ضربا من السحر فى نظر أوربا فى حين أنها تدل على طول باع العرب فى علم الطبيعة .

وأورد صاحب (عيون المسائل فى أعيان الرسائل) جدولا عن الاثقال النوعية للذهب والفضة والزئبق والرصاص والنحاس والحديد والزيت واللبن وغيرها بالقياس الى الماء العادى ، ولم يطرأ على ذلك من جديد فى عصرنا الا قياسها بالنسبة للماء المقطر .

والحسن بن الهيثم صاحب نظريات فى الانعكاس والانكسار وتعليل ظواهر الرؤية وقوس قزح وغير ذلك مما

يجعله في رأي الاستاذ مصطفى نظيف « أعظم مؤسسي علم الضوء شأنا وأكبرهم أثرا ، وكانت مؤلفاته المرجع المعتمد عند أهل أوروبا في القرن السادس عشر » .

ومن أقوال ابن الهيثم العظيمة « ان النور يدخل العين ولايخرج منها وان الشبكية هي مركز المرئيات وان المرئيات تنتقل الى الدماغ بواسطة العصب البصري » .

وفي حقل الرياضيات وضع الكاشي أساس الكسر العشري، ووضع الخوارزمي أصول علم الجبر... وقد نشر الدكتوران مشرفة ومرسى أحمد مخطوطة له في الجبر والمقابلة كانت محفوظة بجامعة أكسفورد وفي هذه المخطوطة شرح للمعادلات والجذور والرموز الرياضية .

وألف الطوسي في الهندسة وخاصة في المثلثات .

وفي الجغرافيا تطالعنا أسماء الادريسي وياقوت ... وقد وضع الادريسي كتابا طريفا في الفلك ، ولعلك ستدهش عند سماع عنوانه :

« نزهة المشتاق في اختراق الآفاق »

وجابر بن حيان الذي يعد علما في الكيمياء كما يعد أرسطو في المنطق .

وأبو بكر الرازي الذي عرف حمضي الكبريتيك

والازوتيك والصودا الكاوية وابن البيطار له كتاب فى علم النبات اسمه « الجامع لمفردات الادوية والاغذية » يعد من أعظم البواكير فى هذا العلم .

وابن سينا ظل قانونه مرجع أهل الطب ثمانية قرون ... وغير هؤلاء كثيرون وكثيرون .

أحببت أن أستطرد معك فى ذكر لمحة عن تفوقهم العلمى، لأثبت لك اننا خليقون بالسبق والزيادة ، وان فى الامكان اذا فاتتنا مجاراة عصرى البخار والكهرباء أن نسابق الزمن لنصل الى مجد العصر الذرى .

ولهذا كله وجه الميثاق نظراته السديدة نحو الجامعات والمؤسسات العلمية ، فيقول :

« لم تعد الغاية اخراج موظفين للعمل فى مكاتب الحكومة، ومن هنا فان مناهج التعليم فى جميع الفروع ينبغى أن تعاد دراستها ثوريا لكى يكون هدفها هو تمكين الانسان الفرد من القدرة على تشكيل الحياة » .

وجعل الميثاق وصول القرية الى مستوى المدينة أمانة فى أعناق المثقفين لأنه لم يعد مستساغا أن تكون الجهود كلها مركزة فى المدينة فى حين تظل القرية فى نومها العميق .

«ان الارادة الثورية ينبغى أن تتسلح بالعلم»

« ومن هنـــا الدور العــظيم الذى لا بد »
« للجامعات ولمراكز انعلم على مســتوياتها »
« المختلفة أن تقوم به » •

« ان مسئولية الجامعات ومعــاهد البحث »
« العلمى فى صنع المســتقبل لا تقــل عن »
« مسئولية السلطات الشــعبية المختلفة » •
« ان الجامعات ليست أبراجا عاجية ولكنها »
« طلائع متقدمة تستكشف للشعب طــريق »
« الحياة » •

من أجــل ذلك كله صارت لدينا وزارة للتعليم العــالى ووزارة للبحث العلمى فضلا عن مجلس أعلى للعلوم ومركـــز قومى للبحوث ومعهد للتخطيط ومعهد للبحوث الجنائية ومعهد للصحراء ومعهد لابحاث البناء فضلا عن مؤسسة للطاقة الذرية وعدد كبير من المكتبات والمتاحف والجمعيات العلمية وكان من نتائج الخطة العلمية فى بلادنا أن ســجلت هيئــة اليونســكو اعجابها وتقديرها بالتقرير الذى أعد عنها ، وقررت عقد مؤتمر اقليمى يكون مقره القاهرة لتنظيم التعاون فى الميــدان العلمى بين دول الشرق الأوسط •

كذلك تنطلع البلاد بشغف عظيم لما سوف يتمخض عنــه تنفيذ القانون الثورى الخاص بالأزهر ، وتأمل البلاد فى تخريج

عدد كبير من العلماء الذين يستطيعون خدمة الدين والدنيا كما كان العهد بأسلافهم .

ومن الانصاف أن نختتم هذا المقال عن « العلم » بآراء الدكتور عبد العزيز السيد بوصفه أستاذا جامعيا ومديرا للجامعة في السابق ووزيرا حاليا للتعليم العالى ، فقد أوضح فى محاضرته التى ألقاها فى ١٤ مارس الماضى بجامعة عين شمس رسالة الجامعة فى المرحلة الحاضرة من تطور المجتمع العربى ، واستطاع سيادته أن يتناول هذا الموضوع الهام من جوانبه المختلفة ، فوصل بين الجامعة والحياة الواقعية ، وحدد دورها فى خدمة المبادىء التى نسعى لتحقيقها على السواء فى داخل وطننا أو فى نطاق الوطن العربى الكبير .

ولم ينس أن ينبه الى الصعوبات التى تواجه الجامعة حتى تؤدى دورها على الوجه الأكمل من ازدياد عظيم فى عدد الطلاب زيادة تفوق فى بعض الاحيان طاقة الجامعة — ومن قلة الامكانيات من حيث المبانى والمعدات ورغم ماترصده الدولة لمواجهة الاحتياجات ، ولكن اتساع المد العلمى فى عهد الثورة يحتاج دائما وباستمرار الى مضاعفة الجهد والمال واليقظة .

وألمع الوزير الى نقص هيئة التدريس نتيجة امتصاص عدد ضخم من الخبراء فى مجالات الحياة النشيطة الدائبة خارج الجامعة ، ونتيجة محاولتنا فى الاعتماد على أنفسنا فى عملية التطوير المستمرة فى الصناعة والزراعة والاقتصاد ونحوها .

ولم ينس الوزير فى ختام محاضرته أن ينـادى بضرورة تطعيم المناهج الجامعية بكل مامن شأنه الوصل بين الجامعـة والحياة العملية ، حتى لا تنفصل المعارف الدراسية عن أسلوب الحيـاة التى اخترناها لانفسـنا ، كما أبان أن من الضرورى ادخال مواد جديدة فى المقرر الدراسى ، كالمجتمع العربى وثورة يوليو الاشتراكية الديمقراطية التعاونية ، بحيث تدرس هـذه المواد من وجهات نظر كل كلية ، فيتكون من هذه اللبنات سفر كامل لعقيدتنا من ناحيتى النظرية والتطبيق ، وبهذا يمكن أن تصبح الجامعة فى خدمة المجتمع لانه كما ورد فى الميثاق :

« يجب أن يكون العلم للمجتمع هو شعار »

« الثورة الثقافية فى هذه المرحلة ـ وعندما »

« يبلغ النضال الوطنى أهدافه سوف يسمح »

« لنا بمرحلة متقدمة من تطورنا بأن نساهم »

« ايجابيا مع العالم .. فى العـلم للعـلم »

جـ ـ السلام

ليس من شك فى أن الرغبة فى السلام رغبة انسانية ، لا تقتصر على الدول الصغيرة التى تقل عددا وعتادا اذا قيست بالدول الكبيرة ، لأن الفرد العادى فى هذه الدول الكبيرة قد ابتلى بالحرب ، وعانى منها ، وتمرس بأهوالها ، وقاسى الفقد ، فقد الاخوة والأبناء والأصدقاء .

ونحن كأمة تريد اعادة بناء الحياة على أرضها ، نشعر أن الاستقرار لا بد أن يملأ كل ركن من أركان الارض ، فالسلام ـ فى نظرنا ـ فضلا عن كونه قيمة انسانية فهو ضرورة ، هو احتياج ، هو الفرصة المواتية لتخطيط المستقبل هو الحافز الوحيد على رصد المبالغ الطائلة من أجل الرفاهية والخير والاسعاد ...

من أجل ذلك شاركنا فى كل المؤتمرات الدولية التى عقدت من أجل السلام ، تحت سماء باندونج ، وعلى أرض بلجراد ، وفى أروقة جنيف وفى كل اجتماع خارج بلادنا أو مع كل زائر قدم بلادنا ... ثم لا ننسى وقفة رئيسنا المجيدة فى هيئة الأمم المتحدة وكيف كان صوته فوق منبرها يهتف بالسلام فى كل أرجاء العالم ، لاعلى الارض العربية وحدها ،

بل فى الكونغو وفى برلين أيضا وفى غيرهما من المناطق الحساسة التى يتوتر فيها الصراع •

من أجل ذلك أعلنا فى كل مناسبة أننا ضد التجارب الذرية حيث أجريت وشاركنا فى ذلك مشاركة ايجابية •

ومن أجل ذلك دعونا الى « عدم الانحياز » •

« فكانت أولى الدعوات له صادرة من القاهرة ، ولقيت استجابة رائعة لدى الكثير من الشعوب ، وكان ذلك تقديرا انسانيا للمنهج الذى سلكناه فى خدمة السلام بعد ايماننا به واخلاصنا له » •

وباستقراء الميثاق فى مواضع كثيرة يمكن أن نرجع مقومات السلام الى الاسباب الآتية : ـ

١ ـ الصراع المذهبى المحتدم بين الكتلتين الشرقية والغربية •

٢ ـ الاحلاف العسكرية •

٣ ـ التكتلات الاقتصادية •

٤ ـ التمييز العنصرى •

٥ ـ الصدام بين التخلف والتقدم نتيجة تفاوت مستويات الشعوب تفاوتا مخيفا •

٦ ــ احتكار العلم .

٧ ــ نقص الوازع الخلقى والروحى أفقد ثقة الانسان فى الانسان .

٨ ــ تشبث الاستعماريين بمراكزهم .

٩ ــ توجيه الأموال الطائلة الى التسلح الرهيب .

١٠ــ التفنن فى وسائل الحرب النفسية .

وفى الميثاق عبارة لها فى حياتنا ذكريات مثيرة : « السلام لا الاستسلام » .

« لقد رفع شعبنا حتى فى أحلك ظروف »
« المعارك القاسية التى أرغم على خوضها »
« شعاره الخالد (السلام لا الاستسلام)... »
« ايماءة واضحة الى أنه يقبل التعاون »
« الدولى ولكنه يقاوم السيطرة » .

وأنا أجزم أن هذا الشعار من أعظم الأدلة على انتسابنا للعروبة ذلك أن من خصائص العربى أن يتنازل لغيره عن الكثير، ولكنه فى اللحظة التى يشعر فيها أن هذا التنازل على حساب كرامته ، ينتفض كالاسد الجريح ليثأر وينتقم .

نحن كرماء ... ولكننا لسنا سفهاء .

نحن نتهاون .... ولكن من أجل الخير والانسانية .

نحن قد نسكت ... ولكننا لا نقبل الضيم .

وهذه الخصائص العــربية الكامنة فى أعــراقنا هى التى أملت علينـــا فى تصرفاتنـــا السياســـية أن نقف مواقف صلبة أدهشت أعداءنا ، وحيرت أصدقاءنا . فكلنا نذكر كيف تصرفنا حينما أوعز دالاس بسحب تمويل الســـد العالى .... أممنـــا القنـــاة !

وكلنا نذكر كيف تصرفنا حينما أنذرنا ايدان ســـنة ١٩٥٦ انذارا بوليسيا محدد الميقات ... حاربنـــاه وانتصرنا عليـــه وطمسنا نجمة السياسى الى الابد ... !!

وحياتنا السياسية المعاصرة تحفل بشواهد كثيرة على أننا نؤمن بالسلام ولكننا نكفر بالاستسلام .

واليوم .. ونحن نتطلع من خلال سيناء ، لنسمع اسرائيل وهى تتشدق بأغنية السلام لتوهم بها البسطاء ، فى أنحاء العالم، كى يغدقوا عليها من كرمهم وعطفهم ــ نقول لها ان الاســـباب الخاطئة تنتج نتائج خاطئة ... وانها وليدة الخطايا .. ولهـــذا فان طال صمتنا اليوم فان عروبتنا تهتف فى أعماقنا .. ان يوم الفصل آت لا ريب فيه ، فلا استسلام ... بل لا ســـلام الا اذا رد الحق الى صاحبه ، وصحح التاريخ موازينه .

« ان مجتمعنا مطالب الى الوقت الذى تستقر »

« فيه مبادئه العظيمة ــ ان يكون مستعدا »

« باستمرار ، من أجل حرية الوطن والمواطن »
« ــ أن يدعم السلام بالقوة » .

« والجمهورية العربية المتحدة ، بالتاريخ »
« وبالواقع هي الدولة العربية الوحيدة في »
« الظروف الحالية التي تستطيع تحمل »
« مسئولية بناء جيش وطني يكون بمثابة »
« القوة الرادعة للخطط العدوانية »

« الاستعمارية الصهيونية » .

والحق اننا نستمد وقاية السلام من تاريخنا الروحي .

وهناك دعوة خاطئة تلوكها الاوساط العادية للاسلام حين تتهمه بأنه دين قام بحد السيف وانتشر بالقوة والبطش ، وهذه فرية لا تثبت على المحك لحظة واحدة ...

ذلك ان دعوة الاسلام ليست معقدة ولا غامضة ، فلا تكلف العقل مشقة ، وشريعة الاسلام ليست متعسفة ، وانما هي هينة لينة تتناسب مع طبيعة الانسان ، ولا ترهقه من أمره عسرا ... ثم ... « لا اكراه في الدين » .

وليس رسول الاسلام مطالبا أو مسئولا أمام ربه الا عن مهمة التبليغ والانذار ... فمن آمن فلنفسه ومن ضل فعليها .

وما سمح بالقتال الا لرد العدوان وحماية الدعوة وحرية

الدين ونشر السـلام وتركيز الحيـاة على موازين العـدل والمساواة واشاعة الطمأنينة والاستقرار وما كانت الجزية عوضا ماليـا عن دم أو عقيـدة ، وانما هى علامة على كف الأذى ومشاركة فى حمل أعباء الدولة .

وما قاتل الرسول الا من قاتله ، أو دفعا لظلم ، أو قضـاء على فتنة ...

وكانت تعاليم الاسلام اذا وصلوا الى أرض العـدو أن يخيروه فى واحد من ثلاثة ، اما الاسلام ، أو الجزية أو القتال .. وما كان هذا التخيير الا رغبـة فى السـلم وعدولا عن روح العـداء .

وتقضى هـذه التعاليم كـذلك بمعـاملة النـاس الذين يتمسكون بدينهم ولا يدخلون الاسلام ــ بأن يشعروا بالأمن والاستقرار، وبأن يعاملوا بالبر والاحسان ، والعفو والصفح .. بل سمحت هذه التعاليم بمصاهرتهم والتعاون معهم .. وهكذا يمكن القول ان الاسلام ــ وهذه هى خصيصته المميزة ــ يطمح الى تكوين وجدان انسانى شامل وتعـاون عالمى مثمـر ... وما أشد ظمأ الانسانية اليه اليوم ! !

القيم الخلقية فى الميثاق

ثورتنا دعوة

ليس الميثاق كتابا فى الوعظ والارشاد ، ومن هنا لا تتوقع أن تأتى الاخلاقيات فيه على نحو مباشر ، كالحث على الفضيلة والتمسك بالصدق .. و .. الخ .... انما تأتى الاخلاقيات ضمنية ومن وراء السطور لأنها أشبه بالبواعث الخفية التى تحرك الانسان ناحية الخير ، وتحفزه عليه .

ونقصد بالقيم الخلقية مجموعة الالتزامات الادبية التى يراعيها الآحاد فى سلوكهم ، وفى تصور غاياتهم ، وينبغى أن يكون ذلك كله — كما يقول علماء الاخلاق — ابتغاء مثل ثلاثة عليا هى « الحق — والخير — والجمال » .

ولا يمكن أن تصبح الثورة ملكا لمجموع الشعب الا اذا تحولت الى دعوة . لأن الثورة مرتبطة فى بدايتها بالطلائع ، بالثوار ، بمقدمات الصفوف ...

أما الدعوة فهى عقيدة جماعية يلتزم بها الفرد ، فى السر والعلن اذا خلا الى نفسه أو اتصل بالناس .

يريد الميثاق أن يصبح الشعب صاحب الثورة وحارسها

ويعترف الميثاق للشعب بهذه القوامة ويدين له فيها بالفضل كل الفضل ، وفلسفة الميثاق فى ذلك ألا ترتبط الثورة بفرد أو بمجموعة من الافراد ، لان هؤلاء الى زوال ، أما البقاء والخلود فللشعب .

ولقد حدث فى صدر الاسلام ، بعد وفاة النبى أن حاول البعض الارتداد عن الدين ... وعندئذ وقف أبو بكر فى الناس قائلا « أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت » .

ولقد يحسن هنا أن نورد مثلا للدعوات التى ترتبط بصاحب الدعوة ارتباطا يصل الى درجة التأليه ... فستالين بكل ما له من جهد فى دعم النظرية الماركسية اللينينية سواء فى شرحها أو فى تطبيقها .. لقى خلال حياته من مظاهر التقديس ما ارتفع به الى النجم ، ثم ...... ماذا لقى بعد وفاته » أسوأ السباب والاتهام ، وأبشع الجحود والانكار وأثيرت حول اسمه الدعايات بالحق والباطل ، وأزيحت صوره من أماكنها .

وزحزح رفاته من الكرملين .. وألقى به ـ كما تزعم بعض الروايات ـ فى نهر الفولجا ! !

لهذا كله ترتبط الثورات القوية بأصلها القويم ... بالشعب ، وتنأى بمقدار ما تستطيع عن عبادة الفرد ، بل ان

القائم بمثل هذه الثورة ينال أعظم التكريم فى حيــاته ومماته اذا كان رمزا لارادة الشعب ، ومحصلة لآماله وآلامه ، وقــوة دافعة لجهده ، وتبلورا نهائيا لمراحل نضاله ••• وهــذا هــو الحال فى ثورتنا •• أو فى دعوتنا •

ثورتنا دعوة لرفاهيــة الانســان فى جيلنــا وفى الاجيال القادمة ، وارتباطها بالمعنويات أعظم دعامة لها وأقوى حصــن يقيها عاديات الزمان •

لم يكتف الميثاق ببسط جوانب الثورة المادية فى الاقتصاد والاجتماع والسياسة ، بل حملها شحنة من الاخلاقيــات ، اذا أفرغت منها تعثر سيرها وتوقف •

ومن يتأمل الضمانات التى اشترطها الاتحاد الاشــتراكى العربى فيمن ينضــم الى عضــويته وفى تنظيماته وفى مراكــزه القيادية يجدها لاتخرج عن كونها شروطا أدبية معنوية سلوكية، فلا بد أن يكون مواطنا شريفا ، لا يستغل ، لا يطلب مزايا أو استثناءات ، يتصرف كقدوة ، يضع مصالح الدولة ومصــالح الاتحاد فوق مصلحته الشخصية ، يخدم الشعب بروحه وبقلبه ولا يخدمه الشعب ، لا يتعالى على الشعب ، يوثق الروابط بين الشعب ومع الشعب ، يسمع للشعب ، ويتعلم منه ، يقبل النقد ويمارس النقد الذاتى •• ونحو ذلك •

لقد صارت السياسة تكليفا ومسئوليات ، اعطاء لا أخذا ،

لقد آن أن تختفى الميكافيلية التى تبرر الوسيلة ، ستتلاشى من حياتنا الانتهازية والانانية لتحل محلها خدمة الجماعة والايثار والتضحية •

وحينما يدخل الفلاحون والعمال بنسبة ٥٠٪ ــ كما نص الميثاق ــ فى المجالس الشعبية سينتشر فى جو حياتنا عبير جديد، وأنا هنا أتحدث ــ كقروى ــ نشأ بين القرويين ، وفى أحضان الارض الطيبة فأشهد أن لدي الفلاحين من حصانة الخلق والوداعة والسماحة والبراءة والصدق والصراحة والوفاء والشجاعة والصرامة ، والجلد والثبات ، مايبشر بأنهم سيكونون خير حملة للامانة التى ألقيت عليهم ، وان ذلك سيضمن لثورتنا ألا تنحرف أو تنتكس على مرور الايام •

ونظرة الى ماحدث خلال نكسة الوحدة فى سوريا ترينا ان العناصر الانفصالية لم تكن مطلقا من بين الفلاحين والعمال، وانما كانوا من طبقة السياسيين القدامى الذين استتروا خلف الوحدة ، لينسلوا الى كبدها وليغمدوا فيها خناجرهم ، وليقضوا على ماحققته للعمال والفلاحين من مكاسب • لقد عاش هؤلاء السياسيون فى حضن الاستعمار وارتبطت مصالحهم بطرق السمسرة والوساطة والاحتكارات والخيانات والمؤامرات ، وكان شعارهم اذ يرون الوحدة تنمو وتتألق ــ ان ما لا يمكن أخذه فى وضح النهار يمكن التسلل اليه خلال تنظيمات الاتحاد القومى ، وتحويله الى أوكار لخدمة الانصار

والاغراض والمآرب ، وهكذا غطوا سياستهم بقشرة وحدوية ، فى حين جرت أصابعهم فى الخفاء وفى الظلام لتهيل التراب على كل ماحققه العمال والفلاحون من مكاسب المصانع والشركات والاراضى .

ان اتاحة التمثيل العددى للفلاحين والعمال على نحو ما جاء فى الميثاق ، انما هو فى الواقع ضربة قاضية موجهة للرجعية بكل ماتمثله من أخلاق اللصوص والقتلة والمتآمرين وبكل ماتمثله من خسة الاستعمار وأغراضه الدنيئة .

وقد ينتقد البعض طفرة هذا التمثيل الفلاحى العمالى بدعوى أن الوعى السياسى لديهم لم ينضج بعد ، أو نتيجة التأثر بحالات فردية ظهرت فى تصرفات بعض العمال والفلاحين من استعلاء وتكبر وتمرد نتيجة احساسهم بنفوذهم الجديد .

ولكن الحق الذى لا مرية فيه أن التجربة وحدها ستزيدهم حنكة وصقلا ، وستلقى عليهم من المسئوليات والتبعات مايجعلهم أهلا لأن يكونوا عند حسن الظن بهم ، ثم يجب علينا كنفسانيين أن نقدر أثر الحرمان الطويل والفاقة والتضييق والكبت التى عاشوا فيها على المدى الطويل وانه ليس من المستغرب أن تبدر من بعضهم ظواهر الشموخ ... فان أعمق نفس يلتقطه الطائر الحبيس لحظة أن يفلت من محبسه !

ولست فى حاجة الى أن أعيد عليك ما كانت تمتلىء به

صفحات المجتمع فى الصحف من أبناء الطبقة الارستقراطية وأهل السياسة والحكم، والسهرات الحمراء التى كانت تعج بالصدور العارية ، والروائح الباريسية والفراء الفاخرة وموديلات كريستيان ديور ومدام كارفن ... وأظنك معى فى أن روائح الاخلاق فى هذه الاوساط كانت تزكم الأنوف !

ثم أظنك تذكر كيف كانت أنظمة الحكم تبارك فساد الملك بل ان احد رؤساء الوزارات فى ذلك العهد كان « يرنو ببصره الى طلعة المليك المفدى وراء البحر حيث لايشغله سوى شعبه لأنه لايضن على رفاهيته بوقت أو جهد » وكان رئيس الوزراء هذا يعلم أن المليك المفدى !!! يقضى لياليه فى حانات الرقص والقمار بمونت كارلو وكابرى والريفييرا ، بل كان حول هذه الموائد مثار الفضائح ومادة للقصص المخجل المثير .

لقد كانت السفارات الأجنبية تجد فى تلك الأجواء ضالتها المنشودة بل لا أعدو الصواب اذا قلت أن بلادنا كانت تحكم من خلال هذه السهرات وعلى تلك الموائد ... وبتلك الاخلاق !!

ومع ذلك ظل شعبنا يناضل معركة تلو معركة لانه كما يقول الميثاق :

كان مصرا على أن يستخلص للمجتمع الجديد الذى يتطلع

« يتطلع اليه علاقات اجتماعية جديدة تقوم على قيم »
« اخلاقية جديدة وتعبر عنها ثقافة وطنية جديدة »

والمتأمل فى سياستنا العامة يلحظ أن وراء كل شعار ندعو اليه قيما خلقية ، فنحن « نكره الاستعمار » ـ لانه ظاهرة تتنافى مع كرامة الانسان ، فان المجتمع فى ظل الاستعمار لايستكمل سيادته وبالتالى لايستكمل ملامح وجوده ، انه دائما مقيد ، خائف ، مضطرب ، مهضوم مغلوب على أمره مسلوب الارادة ، تابع ...

وأظنك لاتخالفنى فى أن هذا المجتمع لايمكن ولايتصور أن يكون متمسكا بالقيم الثابتة أو المعانى المطلقة بصورة عامة ، ففيه يثرى اللصوص ويتفوق الانتهازيون ، ويرتفع الخونة والمنافقون والدساسون والجواسيس والاذناب وفيه يشيع النفاق ، ويسيطر الخوف .

وفيه يتعادى المواطنون ، وينقسمون الى شيع وأحزاب ، ولا تفترق طائفة عن طائفة الا بمقدار بعدها أو قربها من موائد السفارات الاجنبية .

وحين تنادى كل صفحة من صفحات الميثاق ـ بل كل سطر منه « بالعزة والكرامة » انما تنادى بنبذ الاخلاقيات الهشة التى تصاحب التخلف والتمسك بالاخلاقيات المتينة التى تصاحب التقدم .

ونحن حين نقول « ان الوحدة لاينبغى أن تكون فرضا » فاننا نرفع شعارا خلقيا لانعترف فيه بالقسر والضغط والضم ، ونؤمن بحرية الرأى ، لان :

« الاهـداف العظيمة يجب أن تتكافأ أساليبها شرفا مع غاياتها .... ومن ثم فان القسر بأى وسيلة من الوسائل عمل مضاد للوحدة . انه ليس عملا غير اخلاقى فحسب ، بل هو خطر على الوحدة الوطنية داخل كل شعب من الشعوب العربية وبالتالى فهو خطر على وحدة الامة العربية فى تطورها الشامل» .

ونحن حين نحارب التمييز العنصرى انما نرد ذلك الى أصل خلقى ... فهو فى نظرنا جريمة يرتكبها الاستعمار ، وضحيتها الانسان الملون ، ويلحق أذاها الضمير الانسانى كله .

ونحن حين ننادى بالرخاء الذى ينبغى أن يسود العالم كله انما نرد هذا النداء الى أصل خلقى اذ نعتبره :

« تفكيرا انسانيا يشترك فيه المسئولون وغير المسئولين » عن العصر الاستعمارى .

وهكذا ... لو شئت أن تتغلغل فى صميم دعوتنا السياسية على النطاق العالمى لألفيت باعثها فى الأغلب الأعم أخلاقيا .

وكذلك الحال فى دعواتنا الداخلية ...

فالاصلاح الزراعى مثلا تصميم لاصلاح الاوضاع الاجتماعية وما يتبعها من اعادة لموازين الاخلاق ، لان الاقطاع كان يمثل فى القرية نفس الدور الذى يمثله الاستعمار بعامة فى الوطن كله .

ولهذا وجبت اعادة بناء المجتمع الجديد :

« على دعائم الكفاية والعدل ، ومحاطا بدرع واق من المبادىء الخلقية » .

« ان الفكر الاجتماعى هو الذى يرسم الطريق لصنع المجتمع الجديد ، ومايمكن لهذا الفكر أن يطوره من قيم اخلاقية جديدة ومعان انسانية متفتحة للحياة نابضة بها » .

ولا يفوتنى أن أنبه هنا الى نقطة هامة :

« أن تحرير الفلاح والعامل ينبغى أن يفهم فى أوساط الفلاحين والعمال على أنه أمانة ثورية ضخمة ، فيجب عليهم أن يتقبلوا حمل هذه الامانة بلا تنكر لاخلاقهم التقليدية ، ولهذا فان أعظم ما ننادى به فى هذا الطور هو حماية أنفسنا من أنفسنا فالفلاح الذى يغادر القرية ليجلس تحت قبة مجلس الامة عليه ألا ينفصل — بمرور الوقت — وجدانيا عن القرية وأهلها ومطالبهم وتقاليدهم — والعامل الذى يرتفع به التنظيم الشعبى الى مركز قيادى عليه الا ينسى أن بدلته الزرقاء وسام شرف مابعده شرف ، فلاينبغى أن تزحزحه الاوضاع الجديدة المتحررة عن اخلاقياتها وتقاليدها .. والتزاماتها .

بهذه الروح تصان المكاسب الثورية ولاتتبدد ، وتتزايد على مر الزمن ولا تتقلص .

نظرات الميثاق

للأسرة والطفولة وللشباب

* يؤمن الميثاق بالفرد ... ويعتبر الفرد الحر هواللبنة الاولى فى مجتمع الاحرار ، وبهذا تفترق اشتراكيتنا العربية عن الشيوعية الماركسية التى تسلب ارادة الفرد ، وتذيبها فىالدولة، ويصبح الافراد مجمـوعات مختلفات من التروس فى الجهـاز الكبير ، يسيرون كأنهم معصوبو الاعين ، بلا رأى ولا مشورة ...وبلا حق فى الملكية أو التصرف .

والميثاق يستلهم ذلك من المعانى الروحية لأن :

« أساس الثواب والعقاب فى الدين هو فرصة متكافئـة لكل انسان . ان كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الاعظم بصفحة بيضاء يخط فيها أعماله باختياره الحر » .

ويستمدها الميثاق كذلك من واقع الحياة لأن :

« حرية الانسان الفرد هى أكبر حوافزه على النضال »

* واذا كان المجتمع ذا قيم سلوكية شريفة فان أعمـال الفرد ستصطبغ حتما بهذه الاتجاهات الشريفة ، أما اذاانطمست معالم الطريق وانبهمت الغايات فان حرية الفرد غالبا ماتتجه نحو

الانحراف .. وكلنا يذكر كيف كانت أوضاع المجتمع قبل الثورة تساعد على الاثراء الفاحش بأى سبيل بل كان الوزراء يتجرون فى السوق السوداء ، وبأرزاق الناس ويضاربون باحتياجاتهم الضرورية بلا رادع من ضمير أو قانون ... بل كان كل ذلك يحدث فى حماية اللوائح والقوانين وما زلت أذكر كيف لم يقنع أحد أعضاء مجلس النواب فى العهد السابق بغناه الطائل فراح يتاجر فى المخدرات ويهربها فى اطارات السيارات لتوزع على تجار الجملة والتجزئة .

وهذا النائب الاقطاعى لم يصنع ماصنع الا فى حماية صهره ... الوزير المنتفخ الأوداج !!!

❋ ليست الظروف هى التى تصنع الأخلاق ، لأن للانسان السيادة الكاملة على الظروف ، ولأن الخطر كل الخطر فى تصور أن الحياة تجرى هكذا بلا قياد أو عنان ... والا لما كانت هناك معان ثابتة مطلقة يتفق الناس على انها ضوابط تكبح جماح النفس ، وتنظم الحياة الشريفة النبيلة وأنا أكتب هذا الكلام وأعنى به بعض كتاب القصة والمسرحية وبعض مؤلفى الأغنية الذين ينصرون الرذيلة والخطيئة فى بعض المواقف ويلتمسون لصاحبهما المعاذير نتيجة الظروف !!!

❋ مجتمعنا حاله عجب ... لا هو بالمحافظ المتزمت ، ولا هو بالمتحرر الصادق فى تحرره .

فينا من يقوقع المرأة داخل المشربيات مثلما كان يحدث فى

عهد الحريم ، وفينا من يدع المرأة تنطلق على سجيتها ...

وقليل منا من يقدر معنى التحرر ، وأن معناه أن تنطلق عواطفنا بنفس السرعة التى انطلقت بها عقولنا ، وعندئذ تختفى العقد ، ويزول القلق وتتلاشى الحيرة ، وتستقر ملامح المجتمع على حال واضحة مفهومة .

ان مايعانيه كثير من فتياننا وفتياتنا من ذبذبة فى السلوك ناتج عن عدم تحدد معالم الطريق أمام أعينهم ، وبالتالى فان النسبية فى قياس الامور غلبت على الاطلاق ، كماغلبت التفاهة والسطحية وجفا الشباب القراءة الجادة فى العلم والادب والفن وجنحوا الى الافلام والقصص الجنسية والبوليسية ، وأصبحت قيمة العمل الفنى تقاس بما فيه من اثارة لا بما له من قيمة وأصالة .

فى مجتمعنا رجعيون فى « فن الحياة » كما كان لدينا رجعيون فى « السياسة » وليس خطر أولئك بأقل من هؤلاء لأن التعصب المقيت عامل من عوامل التقهقر والجمود والسلبية .

وفى مجتمعنا مثقفون قد نالوا من ثقافة الغرب حظا كبيرا لكنهم قد سكروا من خمر هذه الثقافة ، حتى أصبح ماسواها باطل الاباطيل وقبض الريح وهم لايعلمون أن « هذه الشقراء الجميلة الذكية » — كما يصف توفيق الحكيم أوروبا — هى نتيجة اقتران آسيا وافريقيا فى طور من أطوار التاريخ .

نظر الميثاق الى حال المجتمع ، فشخص الداء ووصف الدواء حين قال :

« والثورة العربية وهى تواجه هـذا العالم لابد لهـا أن تواجهه بفكر جديد لا يحبس نفسه فى نظريات مغلقة تحد من طاقته وان كان فى نفس الوقت لاينعزل عن التجارب الغنية التى حصلت عليها الشعوب المناضـلة بكفاحهـا ــ ان التجـارب الاجتماعية لاتعيش فى عزلة عن بعضها وانما التجارب الاجتماعية كجزء من الحضارة الانسانية تعيش بالانتقال الخصب وبالتفاعل الخلاق . أن مشعل الحضارة انتقل من بلد الى بلد لكنه فى كل بلد كان يحصل على زيت جديد يقوى به ضـوءه على امتـداد الزمان . »

« وكذلك التجارب الاجتماعية .. انها قابلة للانتقال لكنها ليست قابلة لمجرد النقل ، قابلة للدراسة المفيـدة لكنها ليست قابلة لمجرد الحفظ عن طريق التكرار » .

ان الشخصية اليافعة للمجتمع فى نظر الميثاق تسمح بالتأثر والتأثير ، ولكنها لاتسمح بالنظريات الجاهـزة التى تنتقل من مكان الى مكان كأنها مصـبوبة فى قـالب ... صـالح لكل المقاسات .

وهذه اليفاعة فى شخصية المجتمع هى التى دفعته لأن يعلن لأول مرة وبصفة قاطعة رصريحة وحاسمة « المساواة التامة بين الرجل والمرأة ..

وليس هناك قضية اجتماعية بحاجة الى هـذا القطع من هذه القضية لأن التردد فى الاعلان بسـلامتها ربضرورتها كان يسبب كثيرا من ظواهر القلق الاجتماعى .

المرأة — التى هى الأم والأخت والزوج — يجب أن تقف الى جوار الرجل تشد أزره فى عملية البناء الاشتراكى الجديد الذى يحتاج الى كل طاقة منتجة كى يسبق الزمن ويلحق الركب .

ان هذه المساواة ليست تدليلا للمرأة أو عطفا عليها ... انها احمال ثقال ومسئوليات ضخام تضاف الى أعبائها العـادية التى خصتها بها الطبيعة .

والحق أن وراء هذه المساواة أمرين هامين :

أما الاول — فيتصل بتراثنا الروحى ... فان القرآن قد جعل التمايز بين الناس — ذكورا كانوا أو اناثا — بقيمة العمل — قال تعالى :

« فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامـل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض » .

وأما الامر الثانى — فتمصل بالناحية الخلقية ، اذ أن افساح مجالات العمل وتنوعها أمام المرأة ، سيعصمها من الزلل ويربطها بالمجتمع على أسس قوية قويمة ، ويذيب من عقدها اذا ناوأتها ظروف الحياة .

أتدرون ماسر احتفاظ القرية باخلاقياتها ؟ ان المـــرأة فى القرية تقف كتفا الى كتف مع الرجل منذ بزوغ أول شعاع للفجر الى غروب آخر خيط من خيــوط الشمس ••• انهـا شخصية معنوية تضطلع بعبئها كاملا ، دون حاجة للتوقف هنيهة فى كونها رجلا أو امرأة .

لاتشغلوا بالكم بالمرأة ، فانها ستكون فى المجتمع الجديد جديرة بدورها الجديد ، ولكن قولوا شيئا آخر ••• قولوانحن الرجال بحاجة الى أن نكون قدوات صالحــة فى بيوتنا وأمــام زوجاتنا وبناتنا ••• فليس من شك فى أننا ــ نحن الرجال ــ بحاجة الى أن تتمسك بعرى الفضيلة ، ونقدس رباط الزوجيــة وتتفانى فى محبة أبنائنا ، وكل خلاعة تجدها فى طريقك وراءها رجل مفكك الشــخصية منحل الخــلق ••• لأن فاقد الشيء لايعطيه بطبيعة الحال .

ان اختفاء العقد من حياتنا نتيجة التحرر العاطفى والفكرى سيزيل من شوارعنا هذه الشراذم من الشباب الذين يتسكعون ويعاكسون •••• وسيزيح من أفاريز الطرقات والمقاهى العامة هذه الصفوف المتراصة من الأدميين الذين لا هم لهم الا التحديق الفاجر ، والتعليق السخيف حينما تمر من أمامهم سيدة ربمـا كانت أختنا أو زوجا لواحد منهم •

تلك صور لمجتمعنا أحببت أن أمسها فى عرض لاتنقصــه

الصراحة ، وأرجعه الى علله التى أرسبتها أحقاب طوال من التخلف والجمود وسيثبت مجتمعنا الجديد أنه :

« قادر على أن يصوغ قيما اخلاقية جديدة لاتؤثر عليها القوى الضاغطة من العلل التى عانى منها مجتمعنا زمانا طويلا » .

اهتم الميثاق بالاسرة كنواة للمجتمع ، وأشاد بالروابط الاسرية على أساس من الدين والاخلاق واستلزم أن :

« تتوافر لها كل أسباب الحماية التى تمكنها من أن تكون حافظة للتقليد الوطنى مجددة لنسيجه متحركة بالمجتمع كله ومعه الى غايات من النضال الوطنى » .

والمجتمع الشيوعى ـ فى مقابل هذه الصورة ـ يجعل الفرد ذرة ينبغى أن تتلاشى فى جسم الدولة ، ولهذا فان روابط الاسرة وتكاليفها وأثقالها ومعانى الحنو والأمومة والأبوة بكل مافيها من جمال ومتانة وخلود ـ تعد فى نظر الدولة عوائق تحول بين الفرد والذوبان فى المجتمع .

الطفل يولد لا ليحتضنه أبواه ... بل لتقوم الدولة بذلك فتحنو عليه أو تقسو كما يتفق الامر ، ان الدولة قد تملكت وقت الوالدين فليس هناك متسع لتكاليف الحضانة والرعاية ، وقد أدى ذلك بطبيعة الحال الى اضعاف عرى الزواج ، وانمحاء الاهتمام بذراريه ، وصار الامر لايعدو قضاء الرغبة الغريزية ..

وليس غير ، فكأن الاسرة فى المجتمع ذات وظيفة بيولوجية غايتها أمداد المجتمع بأعضاء جدد .

ليس مصادفة اذا أن ينفذ الميثاق من خلال تراثنا الروحى، ومن خلال تقاليدنا ، ومن خلال آيات تكريم الانسان ليجعل من الاسرة نواة للمجتمع وليجعل من الطفولة ــ وهى أغلى ثمرات الاسرة ــ موضع الوقاية والعناية والرعاية لانهـــا « صانعـــة المستقبل» وعلى ذلك تكون الاسرة فى نظر الميثاق ذات وظيفتين.

(ا) نفسية وعاطفيـــة تتصـــل بتوفير الاستقرار والامن والحماية لاعضاء الاسرة كما تتصل بالحنو على الصغار مـــدة طفولتهم ذلك لان صغير الانسان أضعف الصغار ولانه يحتاج لوقت أطول نسبيا حتى يمكنه الاعتماد على نفسه .

(ب) تربوية تنبنى على التنشئة الاجتماعية بوصـــفها أول هيئة اجتماعية تستقبل الطفل وهو أشبه مايكون بالعجينة القابلة للتشكيل .

* ولا بد أن تنظـــم الاسرة تنظيما علميـــا ــ بمعنى أن نستفيد مما نجحت فيه بعض الامم فى تنظيم النسل وضبطه ... وليس ذلك مناوأة للطبيعة كما يحلو للبعض أن يتشدق به ، لان أهم خصيصة للانسان تميزه عن الحيوان الا يحافظ على نوعه فحسب بل أن يرقيه أيضا ... فترقية نوع الانسان وظيفة طبيعية

كامنة فيه ، وأظنك معى فى أن عشرة جنيهات فى الشهر لأسرة من فردين غير عشرة جنيهات فى الشهر لسبعة أفراد .

ان عيش الفاقة والتضييق يخلق الكبت والحرمان وفى ظلال الكبت والحرمان تنشأ عداوات فطرية فى الشخص تجاه المجتمع، وتتولد أخلاق من نوع لامهادنة فيه ، ولا يزيدها تقدم السن الا تفاقما وضراوة .

ومن أهم الحلول لهذه المشكلة :

١ ــ سن التشريعات التى ترفع سن الزواج الى ٢١ سنة بدلا من ١٨ سنة .

٢ ــ تنظيم ارشاد الاهالى الى طرق تحديد النسل فى العيادات ، والمستشفيات الحكومية واستخدام وسائل الارشاد والتوجيه فى ذلك .

٣ ــ تقييد تعدد الزوجات .

٤ ــ تنظيم استغلال أوقات الفراغ وخاصة فى الريف .

٥ ــ تحسين المستوى الثقافى عن طريق نشر التعليم ورفع مستوى الوعى العام .

يضاف الى ذلك ماينبغى أن يعنى به المختصون بتنمية الموارد وفق سياسة تخطيطية بعيدة المدى .

وكى يكوان الشباب دعامـــة من دعائم المجتمع الجــديد ينبغى أن تتوافر لهم الرعاية الصحية والادبية وأن تصان أفكارهم من الانحرافات المذهبية وأن توجه طاقاتهم فى أوقات الفراغ الى أعمال مثمرة ــ وأن تفسح المجالات أمام المبرزين منهم فى العلوم والآداب والفنون والتربية الرياضية بطريق المباريات والمسابقات التى ترصد لها الجوائز الادبية والمادية تشجيعا لهم وحثا لاقرانهم.

وينبغى أن يراعى التكامل بين برامج رعاية الشباب ، بحيث لا تنفصل حلقة عن أخرى أو جو عن آخر ، وبحيث لا تتضارب أو تزدوج هذه البرامج .

وعلى الجملة فان الصحة النفسية والبدنية للشـــباب هى أقوى ضمان لصيانة المبادىء الاشتراكية وتسليمها للاجيـــال القادمة بأيد فتية وقلوب متوثبة .

وهكذا تظل شعلة الثورة عبر الاجيال قوية متوهجة يضىء نورها طريق الحياة وتحرق نارها أعداءها .. أعداء الحياة .

مصادر الكتاب

القرآن الكريم

الميثاق الوطنى

فضل العرب على الانسانية   للدكتور مريدن

الاسـلام فى الفكر الغربى   للدكتور البهى

رسالة الجامعة   للدكتور عبد العزيز السيد

مقررات مؤتمر العلمين عامى ٩٥٦ ، ٩٥٨

رأس المال   لكارل ماركس

الاخـلاق   لارسطو

العروبة أولا   لساطع الحصرى

فجر الاسلام   أحمد أمين

هيئة قناة السويس

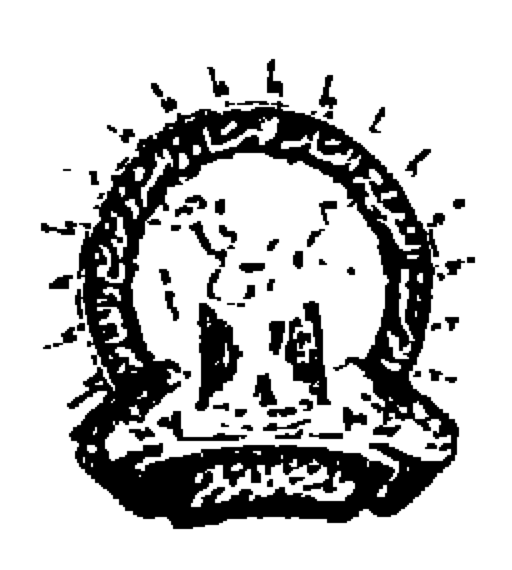
مناقصة عامة

تطرح هيئة قناة السويس لمناقصة عامة عملية تركيب خط من مواسير الظهر قطر ٤٠٠ ملليمتر بشارع محمد على بين شارع السلطان حسين ومنطقة مستشفى الهيئة بالاسماعيلية ويمكن الحصول على مستندات المناقصة للحضور شخصيا قسم التخطيط والابحاث بالاسماعيلية وذلك نظير دفع مبلغ ثلاث جنيهات، وتقدم العطاءات باسم السيد رئيس هيئة قناة السويس (التخطيط والابحاث) بالاسماعيلية فى ميعاد اقصاه الساعة الثانية عشر من ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١١ سبتمبر سنة ١٩٦٢ على ان تكون مصحوبة بتأمين ابتدائى وقدره ٢٠٠ جنيه يلتفت الى اية عطاءات تقدم بعد التاريخ الموضح اعلاه أو غير مصحوبة بالتأمين الابتدائى المذكور .



١٥٧ شارع عبيد ـ روض الفرج

تليفون ٤٠٥٨٧ ـ ٤٠٧٥٣ ـ ٤٠٨١٤ ـ ٤١٠١٢



١٥٧ ــ شارع عبيد ــ روض الفرج
تليفون ٤٠٥٨٨ ــ ٤٠٧٥٣ ــ ٤٠٨١٤ ــ ٤١٠١٢

العدد ١٧٩ الثمن ٣ قروش